المشرق

انتصار الصليب

ذكر جمعة الآلام للاب لويس شيخو اليسوعي

في غرّة هذا الشهر وبهِ ختام جمعة الآلام تجدّد الكنيسة اكرامها لراية خلاص العالم صليب الربّ المحيي لذاك العلَم الظافر بقوّات الجحيم الذي جعلهُ السيّد المسيح آية انتصارهِ قائلًا (يو ١٢ : ٣٢) : « وانا اذا ارتفعت عن الارض اجذب اليَّ الجميع » فنال بصليبهِ ما لم ينلهُ سلاطين العالم وحكامهم بالغنى والجاه وقوّات الجنود وبلاغة اللسان فيُرى اليوم صليب العار منصوباً في اشرف الاماكن واجلّها . امامهُ تخشو الملوك ساجدةً وبهِ تفتخر ارقى الامم فضلًا وحكمة على مثال الرسول المصطفى حيث قال (غلاطية ٦ : ١٤) : امّا انا فحاشا لي ان افتخر الّا بصليب ربّنا يسوع المسيح » . فتمّت بالصليب كلمة الربّ على لسان نبيّهِ القائل (اشعيا ٢٩ : ١٤) : « انهُ يصنع عجباً عجاباً تضمحلّ بهِ حكمة الحكماء ويفنى عقل العقلاء »

وها نحن نبيّن بالاسطر التالية ان الصليب سواء كان مرموزًا اليهِ في العهد القديم ام ظهر في عارهِ وهوانهِ على الجلجلة او بقي ذكرهُ وآثارهُ بعد المسيح انّما كان في كلّ هذه الاطوار آية الفوز والانتصار والشرف والافتخار

*

ليس لبشر ان يسبق ويعرف بلا شكّ ظروف موته وخاتمة حياته . وانما عرف ذلك السيد المسيح ابن الله وحده وصرّح به مرارًا امام تلاميذه . بل تقدّم واشار اليه بالرموز قبل مولده بعدّة اجيال اما ببعض الحوادث المنبئة به واما بما اوحى على لسان انبيائه الناطقين بروحه القدوس

واوّل شيء عدّه آباء الكنيسة رمزًا الى صليب الربّ سفينة نوح التي نجّى خشبها ذلك الصدّيق وآله من الطوفان العرمرم . قالوا انما كان ذاك الخشب صورة خشبة الصليب التي انقذ بها السيد المسيح الجنس البشري المعرّض بطوفان آخر اشد هولًا وافظع عاقبةً لهلاك ابدي . تلك هي آلة الخشب الحقيرة التي خلّصت بها الحكمة الالهيّة الجبلة الآدميّة من تبعة الخطيئة كما ورد في سفر الحكمة (١٠ : ٤)

ومن الرموز التي أجمع الآباء الى كونها رمزًا الى الصليب عصاة موسى التي بها اجترح تلك المعجزات الباهرة فابطل سحر المصريين وفلق مياه بحر القلزم وبها ضرب الصخرة فانفجرت منها المياه وجعلها اخيرًا في تابوت العهد تذكارًا دائمًا لرحمة الله مع شعبه

وقد رأى الآباء والمعلمون رمزًا الى الصليب في خشب آخر امر الربّ موسى نبيّه ان يتّخذه من شجرة ليصلح به مرارة المياه التي وجدها بنو اسرائيل بعد قطعهم لبحر القلزم في برّيّة شور فاستكفوا من شربها . فلمّا القى موسى الكليم ذلك الخشب في الماء اصبح عذباً شروباً (الخروج ١٥ : ٢٣—٢٥) . قال المفسّرون انّ هذا العود كان صورة عود الصليب الذي به ازال الله مرارة الخطيئة . وبما (كما قال الرسول كولسي ٢ : ١٤) الصكّ الذي كان علينا لهلاكنا فسمّره في الصليب »

وادلّ وأظهر من ذلك صورة موسى عينه اذ تضرّع الى الله مصلّياً في وقت محاربة يشوع مع بني اسرائيل للعمالقة . قال الكتاب (خروج ١٧ : ٨ — ١٣) :

جاء العمالقة فحاربوا اسرائيل في رفيديم . فقال موسى ليشوع : اختر لنا رجالًا واخرج لمحاربة العمالقة وانا أقف على رأس التلّ وعصا الله في يدي . ففعل يشوع كما قال له موسى في محاربة العمالقة وموسى وهارون وحور صعدوا الى رأس التلّ . فكان اذا رفع موسى يده يغلب

بنو اسرائيل واذا حطها تناب الهاقة . ولما كانت يدا موسى اخذا حجرًا وحملاهُ تحتهُ فجلس عليهِ واسند هارون وحور بديهِ احدهما من هنا والآخر من هناك فكانت يداهُ ثابتتين الى مغرب الشمس فهزم يشوع عماليق وقومهُ بحدّ السيف

فكأنَّ الله اراد بهيئة يدَي موسى على شكل صليب ان يرمز الى صليب ابن الله الذي فاز لمَّا مدَّ عليهِ يديهِ بأركون النار وغلب عدوّ الجنس البشري . وهكذا تأمر الكنيسة كلّ يوم كهنتها في الذبيحة الطاهرة ان يتضرَّعوا الى الله ببسط ايديهم على مثال الصليب المقدَّس لينالوا باستحقاقهِ ، نعم الخلاص لكافَّة المؤمنين

وفي سفر العدد (٢١ : ٦ — ١٠) رمز بديع الى الصليب ونعمتهِ وقوَّتهِ على اعداء النفوس ألا وهي تلك السارية التي امر الله موسى عبدهُ ان يتَّخذها ويرفع على رأسها تمثال حيَّة من نحاس كان كلّ من ينظر اليها من بني اسرائيل اذا لدغتهُ الحيَّات الناريَّة التي ارسلها الله لعقابهم ينجو من سمّها الزؤاف . وقد اغنانا السيّد المسيح اله الحقّ عن تأويل هذا الرمز اذ أكَّد لليهود انَّهُ أشير بهِ اليهِ عند ارتفاعهِ على الصليب فقال لنيقوديمس (يوحنَّا ٣ : ١٣ — ١٤) : « وكما رفع موسى الحيَّة في البرّيَّة هكذا ينبغي ان يُرفع ابن البشر لكي لا يهلك كلّ من يؤمن بهِ بل تكون لهُ الحياة الابديَّة »

ومن البرّات الصريحة الملمعة الى الصليب والنجاة بهِ من كلّ سوء ما ورد في نبوَّة حزقيال (٩ : ١ — ١٠) :

قال الرب : « قد اقترب ذوو افتقاد المدينة وكلُّ واحد اداةُ تدميره بيدهِ . واذا بستَّة رجال . . . وكلّ واحد اداةُ حطمهِ بيدهِ وفي وسطهم رجلٌ لابس كتَّانًا وعلى حقوهِ دواة الكاتب . . . فقال لهُ الرب : اجتز في وسط اورشليم وارسم « تواء » على جباه الرجال الذي ينوحون ويندبون على كلّ الارجاس التي صنعت في وسطها . وقال لاولئك . . . اقتلوا الشيخ والشاب والعذراء والاطفل والنساء حتَّى الفناء ولكن كلّ من عليهِ « التواء » لا تدنوا منهُ . . . .

التِّواء المذكور هنا هو التاو آخر حروف اللغة العبرانيَّة وكان يرسم في ذلك الحين على شبه صليب هكذا ✝ فجعلهُ الربّ علامةً لخلاص بعض بني اسرائيل كما ترى . فاتَّفق معلّمو الكنيسة على انَّهُ كان رمزًا الى صليب السيّد المسيح

فترى انَّ هذه الرموز تؤول كلّها الى غاية واحدة فتدلّ على ان الانتصار من آفات الدنيا والآخرة انَّما يُنال بصليب ابن الله وناهيك بذلك اشارةً الى جلالهِ وعظمتهِ

*

ها قد « تجلّى لطف مخلّصنا ومحبّتهُ للناس » (تيطس ٣ : ٤) اذ « تراءى على الارض وتردّد بين البشر » (باروك ٣ : ٣٧) فياترى أينطبق الرموز اليهِ على الرمز ؟ وهل يكون الصليب آلة النجاة والنصر وهو في عهد المسيح معدود كآلة منتهى الذلّ واقصى الهوان ؟

قد عرف السيّد المسيح عار الصليب وخزيهُ وهذا ما حملهُ على اختيارهِ ليظهر بهِ قوّة الاله كما قال رسول الامم (١ كور ١ : ٢٣) : « نحن نكرز بالمسيح مصلوباً شكًّا لليهود وجهالةً للامم اما للمدعوّين من اليهود واليونانيين فالمسيح قوّة الله وحكمة الله » . وقد جعل ابن الله صليبهُ تجاه ابصارهِ منذ اوّل حياتهِ « وعملهُ امامهُ » (اشعيا ٦٢ : ١١) لا يغضُّ عنهُ طرفة عين حتّى يوم تجلّيهِ على جبل الطور فانّ كلامهُ مع موسى وايليّا انّما كان « عن خروجه الذي كان مزمعاً ان يتمّمهُ في اورشليم » (لوقا ٩ : ٣١) عند ما يسير الى الجلجلة حاملًا صليبهُ

وما كاد يجمع تلاميذهُ ويباشر في تهذيبهم حتّى اخذ ان يكشف لهم سرّ صليبهِ فسبق وأعلمهم بما سيحلّ بهِ وكيف انّ مشايخ اليهود ورؤساء الكهنة والكتبة يقبضون عليهِ ويفرغون فيهِ غضبهم ويسلمونهُ الى الامم فيموت صلبًا . فكان كلامهُ كلغز لم يدركهُ رسلهُ بل « اخذهُ بطرس نحوهُ وبدأ يزجرهُ قائلًا : حاشا لكَ يارب . لا يكون لكَ هذا فالتفت يسوع وقال لهُ : اذهب خلفي يا شيطان فقد صرتَ لي شكًّا لانك لا تفطن لما لله لكن لما للناس » (متى ١٦ : ٢١–٢٣) . فهذه كلمة زاجرة لم يخرج مثلها من فم المخلّص وهي تشير الى ما رمى اليهِ من تمجيد الصليب بموتهِ عليهِ . وقرّر ذلك بما اضاف قائلًا لتلاميذهِ : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسهِ ويحمل صليبهُ ويتبعني »

وكانت نفس الربّ تائقةً الى تلك الساعة ينتظرها بفروغ الصبر كما اعلن بذلك لرسلهِ الحواريين حيث قال (لوقا ١٢ : ٥٠) : « لي صبغة اصطبغ بها وما اشدّ تضايقي حتّى تتمّ » . ولمّا خرج يهوذا الاسخريوطي ذاهبًا الى اليهود ليسلمهُ الى ايديهم صرخ يسوع متهلّلًا (يوحنا ١٣ : ٣١) : « الآن تمجّد ابن البشر وتمجّد الله فيهِ . . . والله يمجّدهُ في ذاتهِ وسريعاً يمجّده » . فهذا وايم الله صوت الانتصار !

ولما حانت ساعة آلامه المعيَّنة من ابيه السماوي لم ينكص عنها بل ذهب الى حيث كان عالماً ان يأتي اليه اعداؤهُ في طلبه قائلًا لتلاميذه بل الثقة (يو ١٤ : ٣٠) : « ليعلم العالم أني احبُّ الآب واني كما اوصاني هكذا افعل قوموا ننطلق من هنا » . ولا بأس في كونه شعر في طبيعته البشريَّة بالخوف والحزن والسأم واعلن بذلك لئلَّا يزعم البشر انَّ جسدهُ خيال وانَّهُ ليس انساناً حقاً كما هو إله حقّ وانَّما قهر تلك المحسوسات وقدَّم على صليبه تلك الضحيَّة التي تنسَّمها الآب برائحة الرضى

وقد ظهر في معظم اوجاعه واشدّ آلامه كالمنتصر الظافر فانهُ ليس فقط ابى ان يُناح عليه (لوقا ٢٣ : ٢٧ — ٣٢) بل شرك بفردوسه ونعيمه احد اللصَّين المصلوبَيْن معهُ فظهر كالملك يقتسم بغنائمه بين تبعته . وكان على صليبه يفكر في تتميم كلّ النبوَّات المقولة عنهُ (يو ١٩ : ٢٨ — ٢٩) ولمَّا تحقَّق انها أُنجزت بكمالها في شخصه ترنَّم بشعار الانتصار فهتف : « ها قد تمّ »

وما كاد يسلم الروح حتَّى تردَّد صدى انتصاره في السماء والارض والجحيم فحدثت تلك الآيات الباهرة التي انخلعت لها قلوب اعدائه . فأظلمت الشمس وليست الطبيعة حدادها على خالقها وتزلزلت الارض وانشقّ حجاب الهيكل اشارةً الى الناموس القديم وتفتَّحت القبور وقام منها بعض الموتى فتراءوا لكثيرين في المدينة المقدَّسة وعاد جمهور الحاضرين الى بيوتهم وهم يقرعون صدورهم قائلين مع قائد المئة : في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله

فليقم كلّ منصف ويقل لنا أليست الكنيسة وابناؤها بكل صواب يكرمون الصليب الذي لاح على الجلجلة في جمالي قوَّته . حتَّى ولو سجدوا لهُ لا يأثمون بل يتبعون اوامر الله على لسان داود القائل (مز ٩٨ : ٥) : « ارفعوا الربَّ الهنا واسجدوا لموطئ قدميه » . فكان الصليب ذلك الموطئ المقدَّس يلبس قدمي الربّ الملقى عليه

وكأنه تعالى اثبت في قلوب رسله ذلك الاكرام اذ ظهر لهم بعد قيامته بالمجد والبهاء لكنَّهُ لم يشأ ان تتلاشى من جسمه الالهي آثار الصليب بل ابقى فيه اثقاب يديه ورجليه وجنبه ليحتجَّ بها لتلاميذه صحَّة موته وقيامته كما اقرَّ توما بعد كفره بربوبيته ولاهوته حيث وضع اصبعهُ في موضع المسامير وفي جنبه

*

وماذا نقول الآن عن انتصارات الصليب بعد ان قدسهُ المسيح بموته . بقيت خشبتهُ المباركة محجوبةً عن العيان الى ايام قسطنطين اما قوتهُ فظهرت ظهور الشمس في رابعة النهار

وكان اوّل ظهور تلك القوة العجيبة في رسله الابرار . هذا بولس لا يطلب الا ان يُصلب مع المسيح ليحيا بهِ (غلاطية ٢ : ١٩) . وهذا بطرس لا يرى نفسهُ اهلاً لأن يموت كخلصه على الصليب منتصباً بل منكوساً . وهذا اندراوس اذ حُكم عليهِ بالموت على الصليب صرخ متهلّلاً عند نظره : « السلام السلام ايها الصليب الكريم الذي تقدّس باعضاء يسوع الهي فقد صرتَ بهِ منظراً شائقاً بعد ان كنت مكروهاً . فطالما كنتُ اشتاق اليك فاقبلني بين ذراعيك وقدمني لربي ليكون خلاصي بواسطتك »

وما قولنا بالمسيحيين الاولين الذين اتخذوا علامتهُ كسلاحهم فيرسمونهُ على جباههم وليس ذلك خفيةً (كما زعم صاحب الهلال اذ قابل بلا حياء في كتابهِ تاريخ المسونيّة العام وفي مجلتهِ بين علامة الصليب وعلامات التعارف المسونيّة) بل جهاراً كما روى ترتليانوس العالم في دفاعهِ عن المسيحيين حيث قال (Apol XVI, t. I. col. 365-6) : « اننا نرسم على جبيتنا اشارة الصليب لأننا عَبَدة الصليب (religiosi crucis) » . فأيّاهُ رسموا في ديامس رومية على صور شتّى (راجع المشرق ١١ [١٩٠٧] : ٢٩١—٣٠٢) تفنّنوا فيها اي تفنّن وبهِ تزيّنوا فجاهروا في حليّ نسائهم واولادهم كما ترى في عاديّات متاحف اوربّة . وعليهِ اتكلوا اذ صاروا الى الموت لا يهابون العذاب فمات منهم لوف الالوف بجلد وبهجة شيد لها الفلاسفة الوثنيّون كبليانوس الطبيعي وجالينوس الحكيم . فكان للصليب في كلّ هذه الظروف النصر والرفعة

وانما زاد مجداً وبهاء بتدشير قسطنطين اذ ظهر لهُ وجنوده في الهواء وتحتهُ هذه الكتابة : بهذا انتصر (in hoc signo vinces) . فتقرّر انتصار الصليب امام العالم باجمعهِ (اطلب المشرق ١٣ [١٩١٣] : ٨٠١—٨٠٩) واتخذهُ قسطنطين كعلم يتقدم جنودهُ وحفر شعارهُ على خوذتهِ الملكية

حدّث مذ ذاك عن انتصارات الصليب المتعدّدة ولا حرج ولاسيّما بعد اكتشاف القديسة هيلانة ام قسطنطين خشبة الصليب في اورشليم وتهافت المؤمنين للحصول على بعض دقائقه . وظهرت قوّة الصليب في تلك القرون حيث قهر الشعوبَ البرابرة وقادها الى حضن الكنيسة . وقد عرف العرب بركته فذكره شعراء الجاهليّة في قصائدهم كما روينا ذلك في كتابنا النصرانيّة وآدابها في عهد الجاهليّة (ج ٢ : ٢٠٣)

ولمّا فُقد الصليب بغارات الفرس على فلسطين لم يألُ النصارى جهدهم حتّى انقذوه من يد سابيه وتشرّف هرقل الملك بحمله على منكبيه بعد خلعه حلّة الملوكيّة فاعاده الى مكانه في كنيسة القبر المقدّس معزّزاً مكرّماً

وكلّ يعرف ما احرزه الصليب من الفخر في القرون الوسطى اذ بعث عالمَ الغرب على عالم الشرق فحمل الجيوش الجرّارة الى فلسطين لانقاذ الاماكن المقدّسة وعلى كلّ افرادها من الملك الى العبد شارةُ الصليب ففعلوا ببركته ما فعلوا

واذا انتصارات الصليب الادبيّة تفوق على انتصاراته الماديّة . وقد عرفت له الكنيسة هذه الميزة فانّها تلتمس نعم الله في كلّ ادعيتها بشفاعة الصليب واستحقاقات المصلوب . ولا يباشر كهنتها عملاً الّا ورافقوه باشارة الصليب . هو قبلة كل المؤمنين وملجأ كل البائسين وامل كل الطالبين . بنعمته فاتحة حياة المسيحيّ اذ يقدّس الصليب ماء العماد ويجعله طهوراً مزكّياً . وببركته خاتمة مثقاه على الارض . وبظله يرقد في قبره . وهو طول حياته تعزيته وسلوانه

يحمله الرسول الى بلاد الوثنيين فيقهر اصنامهم ويذلّل عنفوانهم . يحمله الراهب ازاء عينه فيستأنس به في عزلته . تأخذه الراهبة الضعيفة فتستأسد وتقتحم الاوبئة وتصير امّاً للمرضى اليتامى والعجز فيحار لها كلّ عمل شاقّ . يحمله الكاتب نصب عقله فيبدّد اوهام الضالين ويفند سفسطة المتفلسفين . ولمّا سُئل القديس يوناونتورا من اين استقى معارفه الواسعة وعلومه اشار الى صليب كان امامه فقال : هذا كتابي

ومن مآثر الصليب في ايّامنا الاخيرة تلك الجمعيّات الناشأة لاتحاف جرحى الحروب المعروفة بالصليب الاحمر . وكلّ يعلم عميم فضلها وسعة مبرّاتها وقد كان الصليب هو أيّدها وسندها

امّا عجائب الصليب الظافر فلا يُحصيها عدّ . فانّ معظم ما صنعه القديسون من

المعجزات والكرامات انما كان بواسطة اشارة الصليب وقد وُضعت لذلك تآليف خاصة . وكفى بنا ان نذكر صليوت بيروت الذي ورد ذكرهُ في المجمع المسكوني السابع وخصَّت الكنيسة له عيدًا في سنكسارها في اليوم التاسع في شهر تشرين الثاني واشار اليهِ صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص١٧) وذلك ان يهوديًا طعن صورة مصلوب وجدها في بيت بعض النصارى فجرت منهُ الدماء الفائضة فجحد اليهودي وقومهُ ضلالهم وتنصَّروا

ومن الآيات الحديثة المنبئة بظفر الصليب ما ترويهِ المجلَّات والصحف الاسبانية وغيرها عن معجزة غريبة هذه سنتهُ ونصف منذ اوَّل ظهورها . ودونك خلاصة الخبر : في معاملة البنك شمالي اسبانية بلدةٌ تدعى لمياس . ففي كنيستها صليب كبير عليهِ تمثال المصلوب مجسَّماً غاية في الاتقان وهو معلَّق على جدران الكنيسة . فالمصلوب المذكور منذ سنة ١٩١٨ جعل يتراءى للمؤمنين على صور شتَّى تدلُّ على كلّ عواطف الحزن والكآبة فتارةً يُرى كأنهُ مصاب بألم اليم وتارةً يلوح على صورة المذعور من بليَّة عظيمة وتُرى احياناً عليهِ نقطٌ من الدم واحياناً اخرى تدمع عيناه فيطبقهما كالمتأمل ويرفع بهما الى السماء كالمترحم . وقد شاهد كثيرون شفتيه تتحركان كأنهُ يصلي في اوجاعهِ فأطلق عليهِ اسم صليب النزاع

فهذه المظاهر وغيرها شوهدت منذ سنة ونصف بتنيف وذلك يوميًا بلا انقطاع والزوَّار يتقاطرون الى الكنيسة يبلغ عددهم كلَّ يوم بضع المئات وكان من جملتهم ملك اسبانية الفونس وآلهُ وكبار دولتهِ وقد اتى لمعاينة هذه العجائب العلماء والاطبَّاء وارباب الدين وفحصوها فحصاً مدقَّقاً ومنهم من صعد بالسلَّم الى المصلوب ومسَّ اعضاءهُ فوجدها طريَّة كاعضاء الحيّ . وهناك سجلّ يجوز لكل من اراد ان يدوِّن فيه ملحوظاتهِ وكتابها مع اختلاف ما يشاهد الواحد دون الآخر تتناصر باثبات العجائب المذكورة . وقد صوَّر المصوِّرون هيئات المصلوب المختلفة ولدينا منها صورتان تدلَّان على هذه العواطف المؤثرة ولولا ما أُصيبت بهِ مطبعتنا من خراب ادوات التصوير لكنَّا اثبتناهما هنا

وما حدا بنا الى ذكر هذا الواقع العجيب انهُ قد اضحى داعياً لارتداد كثيرين من الكفرة الى الايمان والخطأة الى التوبة وذلك اوَّلاً في اهل بلدة لمياس التي صار

اهلها جيهم متحصنين في الدين ملازمين الاسرار كلّ يوم بعد فتورهم و إهمالهم فانتصر الصليب على قلوبهم . ثمّ في بقيّة النواحي بين الزوّار المتقاطرين لنظار هذه الآية النادرة

على انّ هذه الغلبات التي حازها الصليب ويفوز بها كلّ يوم ليست سوى مقدّمة لذاك الانتصار العام الذي سينالهُ ابن الله في اليوم الاخير حين يأتي على سحابة ليدين البشر كما ورد في الاناجيل الطاهرة . وأيده نبيُّ الاسلام في حديثه اذ قال (جامع السيوطي ص ٣٧٢) : « ليهبطنّ عيسى من مريم حكماً و إماماً مقسطاً » . ولكن الربّ سيظهر حينئذٍ وأمامهُ علامتهُ كما قال القديس متى (٢٤ : ٣٠) : « وحينئذٍ تظهر علامة ابن البشر في السماء وتنوح جميع قبائل الارض ويرون ابن البشر آتياً على سحاب السماء بقوة وجلال عظيمين » وما هذه العلامة غير الصليب المبارك الذي باستحقاقاتهِ ينال الابرار سعادتهم وبحكمهِ يُقضى على الاشرار بالهلاك الابديّ . فعلى المؤمنين ان يطبعوا الصليب في قلوبهم ويحملوهُ مع ابن الله بصبرهم على كوارث هذه الحياة . وما ألطف ما قالهُ صاحب الاقتداء بالمسيح وبهِ نختم هذه المجالة (ك٢ ف ١٢) :

« لماذا تخاف من حمل الصليب الذي به يُذهَب الى الملكوت . في الصليب الخلاص . في الصليب الحياة . في الصليب النجاة من الأعداء . في الصليب فَيَضان اللذّة السماويّة . في الصليب قوّة العقل . في الصليب فرح الروح . في الصليب ذروة الفضيلة . في الصليب كمال القداسة . فلا خلاص للنفس ولا رجاء للحياة الابديّة الّا في الصليب . فاحمل صليبك اذًا واتبع يسوع فتدخل الحياة المؤبّدة . . . وان شاركتهُ في العذاب تشاركهُ كذلك في المجد »

مناحة جبرائيل القلاعي

على رفيقه الاب يوحنا الفريق

سمى بنشرها حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

تمهيد

لقد نشأ القلاعي في قرية خنفد وانصرف بكليته الى الدرس والاستفادة من صغره الى ان اختطب له والده فتاة من ذوات قرباه فاعتراه شلل في عينيه كرهته خطيبته فيه فأعرضت عنه بسببه (الدويهي ص٤١٢). فشاق القلاعي ما أتاه اذ ذاك فراغريفون البلجكي المشهور من غرر المحامد والاعمال وحمله على تحذيه في طريقته واقتفاء اثره في فضائله ومزاياه فحذاه بامره فسُرَّ به فراغريفون وسيَّره صحبة استاذه يوحنا الآنف الذكر الى القدس الشريف سنة ١٤٧١ (١ حيث انخرط معه في سلك الرهبانية الفرنسيسية وابرز كلاهما النذور الرهبانية الثلاثة ورافقه ايضاً الى البندقية فرومية العظمى (المشرق ١٤٦:١) حيث عكفا كلاهما على تلقي اللغة اللاتينية واقتباس الفنون والمعارف الرياضية واللاهوتية فتجاريا وتباريا على مقاعد المدرسة فكانا كأسنان المشط في التحصيل والاجتهاد او الحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها في آدابهما وعلومهما والظاهر ان يوحنا سبق جبرائيل في اشياء كما فاق جبرائيل عليه في اشياء. فأعجب بهما البابا سكستس الرابع وأعلام الغرب لما ابدياه من النجابة والذكاء النظري. وبعد ان ارتويا من الآداب والفنون وارتقيا الى درجة الكهنوت رجعا ادراجهما الى لبنان المبارك سنة ١٤٩٣ (الدويهي ص ١٤٣) فقضت العناية الالهية باحكامها الازلية الغامضة ان يغادر فراجوان وهو الاب يوحنا لبنان فسار يريد القدس صحبة الرهبان الفرنسيسيين على مركب شراعي فغرق في البحر وذهب شهيد طاعته وغيرته ونجا باقي رفاقه الرهبان باعجوبة وتخلف عنه جبرائيل القلاعي ولبث في وطنه اللبناني يناضل عن الامانة ويجادل انصار اليعقوبية فلما نُعي

١) او سنة ١٤٧٠ على ما رواه الدوجي ايضاً في ص ٤١٣

اليه رفيقهُ واستاذهُ الاب جوان المشار اليه قامت قيامتهُ عليه وعقد له هذه المناحة او المرثاة معدّدا في خلالها معارفهُ وفضائلهُ واعمالهُ الجليلة . والغريب من العلّامة الدويهي انهُ يسميه « القس يوحنا الماروني » على ما عُرف به في الغرب ويضرب بعدهُ عن نسبهِ ووطنه وقد كان كلامهُ على حبل ذراعه يتيهأ لهُ الاستدلال عليهما بالتقاليد المتواتر وان يجتزئ من خبره بذكر طلبه المعارف (ص ٤١٢) ونبأ غرقه الصارع (ص ١٩٣) وذلك كله يدعو الى اسف البصير وحيث كان من الواجب ان يخصصهُ بالذكر كالقلاعي ويقرّر لهُ فقرة خاصة به لكونه هو والقلاعي كانا اول من رحل من الموارنة الى الغرب في طلب العلوم في اواخر القرون المعروفة بالوسطى كما لا يخفى

ولمّا كانت هذه المناحة او المرثاة لا تخلو من فائدة فقد نقلتُها عن نسختها الوحيدة المصونة في مكتبة الطائفة بحلب (١ ونشرتها اجابةً لطلب الاصدقاء بحروفها كما انتهت اليَّ لاسباب اخصُّها بر ابن القلاعي برفيقهِ واستاذهِ وصدق ولائه لهُ وبيان ما كان عليهِ ذلك الرفيق من الخلال والمعارف التي اعلت مقامهُ وابقت لهُ طيب الاحدوثة بل ايقاف القرّاء الالباء بوجهٍ اخص على حالة اللغة وحالة الشعر او الزجل بلبنان في اواخر القرن الخامس عشر واللغة العربية قد كانت اذ ذاك بالغة اقصى درجات الخمول والانحطاط فيلفظها اللبنانيون على اللهجة السريانية ويردّدون الفاظها على صياغها وابنيتها الآرامية ويسكنون اول اللفظ ولا ينفرون من توالي الساكنات مثل رحمته وغفلته وما اشبه مما تقف على مثله في عرض المناحة فلا أُطيل في استقصائهِ والاشارة اليه . واما الشعر او الزجل فقد كانوا يرسلونهُ عفو السجية والقريحة لا يتقيدون فيهِ بوزن او قافية على ما يجري عليه القوالون لهذا العهد فيرددونهُ ويتناشدونهُ في كل سانحة . ومن المعروف ان ابن القلاعي قد كان مولعا بهِ مشهورا بنظمهِ على ما يظهر من أزجاله العديدة التي تداولتها الالسن وتناقلها الكتّاب والنساخ دهرًا طويلا والمناحة او المرثاة المنثورة وان كانت من الزجل واللفظ العامي

(١ تحت عدد ٧١٢ كتاب برامير داود في ٢٠٦ صفحات وفي ذيله وفيات بعض البطاركة والاساقفة والكهنة والشمامسة (ص ٢٠٨-٢١١) فالمناحة المنثورة يختلف خطها عن خط سائر الكتاب (ص ٢١٢-٢١٥) وقد اصلحت بعض اغلاطها واشرتُ الى باقيها

فهي لا تخلو من المعاني الشعرية والعواطف الرقيقة للتأمل وهذه هي بحروفها مع تعاليق عليها تشرح الفاظها المغلقة وتقرّب فهم معانيها من المطالع على قدر ما سمح به الوقت واعان عليه الوسع

المناحة او المرثاة

اصبح الغريب يحاظرْ (١ كالطير من غير جناحْ من اجل ما قد يباشرْ (٢
عن اختباط (٣ الرياحْ اخي العزيز قد تخاطرْ (٤ والماء من فوقه طفاحْ (٥
ويلي يا قطع قلبي لما تناشقت (٦ هذا الخبارْ (٧

باب الفراج (٨ يا حبيبي بالحق درب الخلاصْ تركتني في التجاريبِ
وانت ذقت المغاصْ (٩ ما كونّا تنينا (١٠ اخوة زي (١١ الطيور بالقفاصْ (١٢
لماذا تخيّب نصيبي من سكنة لجج البحارْ

غرق الحبيب بين المواجْ (١٣ تقيل (١٤ زي الرصاصْ أكشفه (١٥ عار الابراجْ
(ولكن) عزّنا (في) انتقاصْ كاهن ولم اقبل (١٦ تاجْ موعود بالاختصاصْ
من عزّ كرسي الرسولي اذا رجع من السفارْ (١٧

دار البحور والجزايرْ (١٨ قاسي هموم وغمومْ دارس (١٩ الكتب وسكن المغايرْ (٢٠

---

١) سريانية بمعنى تجار او ساق ٢) اي يُعانيه او يصاب به
٣) عامية اي الاضطراب والهيجان وهي هنا بمعنى عصف الرياح وعجيجها وفي ذلك اشارة الى ما كان يتحمل المسافر من المصاعب والاخطار لذلك العهد
٤) على الصيغة السريانية ساقته اليها الغاية وفصيحها خاطر بنفسه اي القى بها الى التهلكة
٥) عامية بمعنى فائض او متراكم ٦) نشقهُ وقف عليه او انتهى اليه
٧) الخبار الخبَر ٨) الفَرَج
٩) المغص ١٠) كذا في الاصل والصواب ما كنا كلانا او اثنانا
١١) بمعنى مثل ١٢) الاقفاص ١٣) الامواج
١٤) ثقيل ١٥) يريد ازراءهُ على الابراج ولكن عزنا صائر الى النقصان
١٦) عامية لان لم لا تدخل على الماضي ١٧) الاسفار
١٨) الجزائر ١٩) درس ٢٠) المغاور مفردها مغارة

اكتنز فهم وعلوم طائع لكل مباشر (١ في عبادة وصلا وصوم (٢
مقتبل كليل (٣ الشهادة على قدر ضعف البشار (٤

هبَّ (٥ الرياح يا حبيبي بالصاري زفّاض (٦ القاوع فهبط (٧ فؤادك وقلبك
من النزول والطلوع نسيت الامانة بربك؟ وعدمت نبع الدموع
ساعة تهيا (٨ طريقك في غمق (٩ لجاج البحار

وفارس يسرع مالك شككت في عظمته بطرس جرا لهُ (١٠ مثالك
يدُه اليمين نشلته لاكن (١١ ما جا (١٢ على بالك تطلب يمين رحمته
من اجل ذلك جرا لك ما قد جرا باقتدار

زور (١٣ الجاج (١٤ يارفيقي وخلّي (١٥ متبا لك رفيق واطلب من اجلي حقيقي
حتى اجي (١٦ في الطريق اذا زرت قبر المخلص مثلك انا اموت غريق
واسكن معك بطن الحوت حتى تقوم البشار (١٧

يا حوت ابلعت (١٨ يونان رابع يوم (١٩ اخرجته صحيح وصار نبي (٢٠ صادق
عن قبر يسوع المسيح اجعل اخي مثل يونان في وسط بطنك يستريح
واخرجهُ منه زي يونان يكرز (٢١ بما قد اختبار (٢٢

طوباك يا كاهن الله لانك اقتبلت الكليل (٢٣ من اجل الطاعة استحقيت

---

١) يريد به المتقدم ٢) صلوة او صلاة . صَوْم بالفتح
٣) اكليل ٤) البشر ٥) هبّت
٦) عرّك القلوع ونافضها اي مرعدها ٧) عامية بمعنى خاف وفزع
٨) تهيأ ٩) عامية وهي عمق ١٠) جرى لهُ
١١) لكن الاستدراكية ١٢) جاء ١٣) زُر
١٤) اللجاج ١٥) في الاصل (خلا منتا) وهو خطاء نسخي وخلّي عامية بمعنى أبقِ
١٦) اجيء ١٧) تقوم البشر او تقوم الساعة
١٨) ابتلعت ١٩) هذا منهُ سرد والصواب ثالث يوم
٢٠) نبيًّا صادقًا ٢١) يكرز سريانية بمعنى يبشر
٢٢) اختبر كأنه كان يتصرف بالالفاظ حسب مشيئته وضرورته
٢٣) الاكليل وقد مرّ

تسلك طريق الجليلْ (١ طوبا (٢ لامك غنية (٣ الذي (٤ ربّتك يا فضيلْ
قربان تقدمت مقبولْ صالح وحسن الثارْ

يا جايزين (٥ الى بلادي وقد سمعتم الخبارْ (٦ اذا وصلتم بلادي
من بعد طول السفار (٧ قولون (٨ الى شعب ماردون قد خاب بنا افتخار (٩
مات المجادل حنّا بغتة البحور انقبارْ (١٠

كاتب وقاري وعالم في اللغاة (١١ ترجمانْ سرياني عربي يوناني (١٢
وكان فصيح اللسانْ (١٣ الافرنج منهُ اتعجبوا (١٤ وقالوا هذا برهان
جا من بلاد بعيدة سرعة العلوم اختبار (١٥

لا عذر كان لطريقك (١٦ ولا عازتاً (١٧ يا حبيبْ حتى تركت رفيقك
وصرت عنه غريبْ اليوم تنشق (١٨ غريقك واشعلت به اللهيب
كيف هي حياتي بغيرك كالعشب في غير مطارْ (١٩

اين عدت الاقي مثالك في درجات الاتضاعْ واعادلة في دلالك (٢٠
بالعلوم والارتفاعْ اناكنت اعيش في ظلالك ارى القلب مني انقطاعْ (٢١
من عاد يداوي لي فؤادي غير من له الاقتدارْ

نور العلوم يا حنّا قد ضامت في ضيط (٢٢ الميدانْ (٢٣ والكهنوت عزّ ارتفاعه
قد اوصلك للامانْ الرهبنة والعبادة اقتنيتهم (٢٤ لك كنانْ (٢٥
رافقت بطرس وبولس وخلصت من كل عارْ

---

١) موضعان في اليهودية الجليل الاعلى والجليل الاسفل ٢) طوبى سريانية بمعنى السعادة
٣) لعلهُ اسمها ٤) اتى ٥) جائزين ٦) الاخبار
٧) الاسفار ٨) قولوا ٩) افتخر ١٠) قُبر
١١) اللغات ١٢) يريد به اللاتيني ١٣) اللسان
١٤) تعجبوا ١٥) اختبر وهي بمعنى تخبّر الامر اي علمهُ بكنهه وحقيقته
١٦) يريد به سفرك ١٧) عازة وهي عامية فصيحها الدوز اي الحاجة
١٨) تراني اليوم وقد مرّ ١٩) الامطار
٢٠) يريد به خبرتك وضلاعتك ٢١) انقطع ٢٢) ميت
٢٣) خطأ نسخي صوابه البلدان ٢٤) اقتنيتها ٢٥) أكنان

سايرْ (١ يزور القيامة في مركب المسلمينْ اثنى عشر رهبان (٢ رفاقه
على عدد المرسلينْ وهو كان عليهم مباشر (٣ ترجمان وامينْ
ليس احدهم تفارق (٤ . وقد جاز تلك الخطارْ (٥
مع عريس مُرت مريمْ (٦ بتول محبّ البتولْ من صغره قد تعلّمْ
في هيكل امّ الحلولْ (٧ في صلواتها قد تنعّمْ والى ابنها صار رسول
في كتب كرسي الرسولي اسمهُ جوّا (٨ انقطارْ (٩
صار في كتب الكنيسة تذكار الى كل شعبنا قالون (١٠ رهبان موارنة
قد جون (١١ الى عندنا والبابا قد تناشق (١٢ خيرنا وقد كتب اسمنا
وارسونا (١٣ كهانة (١٤ وعزنا عندهم انجبار (١٥
قالون (١٦ بين المدارسْ نجادل مع فراجوان (١٧ ومع رفيقه نراوسْ (١٨
والحق معنا يبان ننقي جميع الكنائسْ مثل القمح من الزوانْ
ونقطع (١٩ بذار التعاليس الهرطقة والتنانْ (٢٠
رادون (٢١ يقولونْ عنا في سرّ مخفي عظيمْ انّا هراطقة قد كنا
من الزمان القديمْ جاوب الراهب حنّا عاد كل عالم بحكيمْ
العقل منهُ تحيار (٢٢ اغاب (٢٣ الصواب والبصار (٢٤
شكروا الله في عطاهُ هذا العطاء هو جزيلْ وكان سكان بلاده

---

١) سائر اي ماش او مسافر ٢) إثنا عشر راهبًا لان تميز العدد مفرد
٣) يريد بهِ انه كان متخذًا وظيفة ترجمان وامين ٤) فارق الحياة او غرق
٥) الاخطار ٦) من السريانية اي السيدة مريم
٧) الحلول يريد بهِ التجسّد
٨) جوّ اي ضمن او طيّ ٩) كُتب او سطّر ١٠) قالوا
١١) جاءوا ١٢) تنسم رقد مرّ مرارًا ١٣) رسمونا
١٤) كهنة ١٥) انجبر وهي عامية بمعنى ذاع واشتهر
١٦) قالوا ١٧) بالايطالية اي الاخ يوحنا وهو الكاهن الغريق
١٨) اي نفحصهُ ونتلي عليه ١٩) وروى الدوجي نقاع
٢٠) اظنهُ يريد بالتنانير الدولة الثانية وهي تذرية كما لا يخفى ٢١) ارادوا
٢٢) تحيّر ٢٣) وغاب ٢٤) البصر وهذه الابيات رواها الدوجي في ص ٤٠٩

معتاد (١ عيشاً دليل (٢ وكل من قد تغرَّبْ بالحق صيطه (٣ فضيل
لان الاله هو رفيقه في الليل وفي النهارْ
تمّ القصيد يا رفيقي مكتوب بفيض الدموعْ وانا بشكًّا (٤ غميقي (٥
مصطنظر (٦ منك الرجوع لا علم معنا حقيقي ولا سلا (٧ بغير قشوع (٨
حتى انظرك بالحقيقي قدام الاله البشَّارْ (٩

الحقوق البَدَويّة في شرقي الاردنّ

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان الروم الملكي الكاثوليكيّ (تابع)

٦ عن الدم

ان البداة قد وضعت حدًّا لمطامع العظماء والظالمين بما سلّطت عليهم من القُضاة العادلين . ولا ريب أنّ شراسة الأعراب وسوء طباعهم وما فُطروا عليه من الكبرياء يحملهم على إشهار السلاح وإهراق الدماء. فلذلك قال احد فقهائهم: العرب هم كالشرارة المشتعلة تُفني بدقيقة ما حولها . وقد جعل الحكام عقاباً شديداً للمجرمين لما تجنيه يدهم من إهراق الدماء . فالسنّة عند العرب هي ان الدم يطلب الدم كما بيّناه سابقاً في باب الانتقام . وربّما لم يقدر المرء على اخذ ثاره فيطلب الدية بحسب الشريعة المحمّدية والدِّيَة تسمّى عند العرب حدّة وعقلة وسُميت عقلة لانها تعقل الدماء عن ان تُسفك والدية هي ٣٣,٣٣٣ غرشاً . ومن قلع عيناً او قطع يداً او كسر رجلاً يدفع نصف الدية ومن اوقع ضرراً بالعضوَين معاً يدفع الدية كلها . ويجرح

١) متادًا (او متادَ عيشي) ٢) ذليل ٣) صيتهُ
٤) بشكّ ٥) عميق وقد مرّ ٦) مستنظر
٧) سلوى ٨) مصدر قشعهُ عامية بمعنى رآهُ وابصرهُ
٩) اي البشّار المبهج

ليس له شيء معلوم فانهم يستدعون الطبيب المعروف في القرى فيأتي ويرى جسامة الجرح وخطرهُ ومحلهُ في الجسم ويحكم بدفع دية معلومة ورأينا اناساً يقيسون الجرح ويسبرون غورهُ كي يحكموا في الدية . ولما كانت المرأة عضواً ضعيفاً وكانت إهانتها او اتلافها يُعدُّ جرماً كبيراً قد وضعوا قانونا صارماً لقاتل المرأة او العذراء . فان المجرم يدفع اربع مرّات اكثر من قتل الرجل . على انَّ العرب لا يدفعون ديَةً من الذهب او الفضَّة ولكن المواشي والاغنام فيقدّرون ثمن المواشي ويدفعونها لصاحب الحقّ

فاذا ذبح اعرابي عدوَّه يسعى حالاً في طلب امير كبير يحتمي في ظلّهِ ويعتصم بعقلهِ هو وعاشيتهُ خوفاً من ان يُقتَل وفقاً لسنة الانتقام العاجل لأن اهل القتيل لهم حقّ مدة ثلاثة ايام ان يأخذوا ثأرهم ويذبحوا القاتل واهلهُ ويهدموا بيتهُ ويعقروا غنمهُ . فلذلك يستجير القاتل باحد الشيوخ لئلا يُصبح فريسة الانتقام . فالامير يلتزم بان يبذل جهد طاقته لتخليص المجرم من طائلة الموت ولو كان القاتل من اعداء العشيرة او عدوَّهُ او قاتل ابنهِ او احد اقربائه لان الشهامة الأعرابيَّة تحتم عليهِ بان يحامي عن الضعيف المستجير . ومن غريب الامور ان القاتل في هربه يلتجيء الى رجل ضعيف إمَّا جهلاً منهُ بذلك او خوفاً من لاحقيهِ فيكون كمن استجار من الرمضاء بالنار . فماذا يصنع المجير وكيف يدافع عن المستجير . ففي هذه الحالة الحرجة يقوم المجير الضعيف ويلتجيء هو نفسه الى امير كبير يُعرَف بمضاء عزمه ورفيع اعمالهِ وكرم اخلاقه وبسالته وعدد رعيَّته فيقولون : « فيّض فلان الدخلة على فلان » : فالمجير الجديد يرسل وفوداً الى اهل القتيل ويقول : « أعطونا عَطوة الى حين المصالحة » فتصير الهُدنة الى زمان محدود . واذا لقي اهلُ القتيل المجرمَ فلا يُنزلون بهِ ضرراً . وبعد انتهاء زمن الهدنة يقدر اهل القتيل ان يقتلوا المجرم وكثيراً ما تؤجَّل العَطوة الى أمد بعيد او الى شهر او شهرين او سنة

واذا وصل المستجير امام الخيمة وقال لصاحبها : « انا دخيلك » فقد صار دخيلاً وان لم ينطق لهُ بجواب . وان تمسَّك باطناب الخيمة او وقف امام الخيمة فقط فقد عُدَّ دخيلاً . واذا مسك عمود الخيمة المدعوّ واسطاً او جلس على فراش صاحب البيت وقال : « انا دخيلك » وكان قاتلاً احد افراد عشيرتهِ فلا يضرُّهُ بأذى وان قتلهُ احدٌ

خارج الخيمة فالقاتل يضطرُّ الى دفع دية الدم وحق الدخلة . لان المقتول يُعَدُّ دخيلًا . ولو سقط القتيل على مدًى بعيد من الخيمة فلا يُعتبر دخيلًا واذا سقط في موقع قريب فانَّهُ يُدعى دخيلًا . وهناك تميزات صعبة يعرفها القضاة . ان الشيخ يأخذ هراوةً ويضربها من باب الخيمة الى مسقط القتيل ثم يقيسون المدى من جهة القتيل ومن جهة مسقط الهراوة فان وجدوا المسافة بين الخيمة ومسقط الهراوة اكثر طولًا من المسافة القائمة بين مسقط الهراوة والقتيل فلا يُعدّ القتيل دخيلًا وان وجدوها اقلّ طولًا فهو دخيل . وهناك كلام طويل لا حاجة الى ذكره

غير ان القاتل ينهزم حالاً من وجه اهل القتيل ويتجو هكذا من الانتقام فيقولون في حديثهم : « فلان جلا الى ارض كذا ونزل في عرب كذا » اي رحل الى طلب الحماية . وحينما ينزل القاتل عن فرسه ويجلس على فراش المجير يقول له : « انا دخيلك بعيالك وجلالك من الحظّ المنكود والسيف المجرود والظالم الحقود والكاذب ما لهُ مولود » . فيقول له : « يا هَلَا أبشرْ بالعزّ وطيب المنزل » فلا يهتمّ القاتل بشيء بل يعيش بالصفاء وهناء العيش . فالسعي كلهُ يعود على المجير لأنَّهُ يرسل بعثات متتالية الى اهل القتيل كي يقبلوا المصالحة ويأخذوا دية الدم . على انهم يرفضون الصلح ويطلبون الدم بالدم . لانهم يتذكرون بالدم المهدور الصارخ الى السماء الطالب الانتقام فيعود الوفد الاول خائباً . فلا ييأسنَّ المجير من ذاك الجواب المؤلم لان هذه هي العادة عندهم . وكثيراً ما يختار اهل القتيل رجلًا مشهوداً له بالبسالة والاقدام ليأخذ الثأر فيأخذون قطعة من قميص القتيل ويغمسونها بالدم ويضعونها على راس رمح . فيحملها هذا الرجل المختار ويطوف بين الحيّ ويقول : « انا خصم القاتل فلان والله وبيت الله الكريم لاطوينَّ البرّ والبحر لأجد القاتل واسفكنَّ دمهُ . لان الدم بالدم » . وبعد ايام يعيد الكرَّة فيرسل اليهم وفداً اكبر كي يصلحوا ذات البين ويأخذوا الدية فيرجع الوفد مكسور النفس حزيناً وبعد المرَّة الثالثة ان ابى اهل القتيل المصالحة فتلك دلالة على انهم لا يريدون الّا الانتقام . فيجب على القاتل حينئذ ان يهرب في ظلمات الليل الى بلاد بعيدة ويعتصم بقبيلة شهيرة . وفي غالب الاحيان يصير الصلح بعد المرة الثالثة . لان العرب حينما يشاهدون كبراء البيداء متذللين امامهم تلين ناصيتهم وتتحرك افئدتهم وترتفع فيهم العواطف النبيلة .

فيضربون موضعاً للصلح ويبنون خيمة كبيرة كي يجتمع فيها اهل القتيل والقاتل . ولقد حضرنا جلسة المصالحة في السلط وهي مثال لما يجري في البيداء كلها ودونكم وصفها

خرج قوم من المسيحيين الفقراء لصيد الخنازير في غور الاردن في اواخر سنة ١٩١٣ . فهناك بالقرب من المياه الجارية مستنقعات تسكنها الخنازير ويتكاثر فيها بسرعة عجيبة . فلما انتهى هؤلاء الصيادون الى غابة كثيفة ابتعد واحد منهم يشرب جاثياً على ركبتيه وحنا راسهُ ليشرب واذا برصاصة اصابتهُ في راسه فسقط مجندلاً وذلك ان صيادًا منهم رأى خيالاً فظنهُ خنزيرًا فاطلق عليهِ الرصاص فارتعد الصيادون وحلَّت فيهم الرعدة فربطوا القاتل بالقيود وقادوه الى السلط . واتوا بالقتيل الى بيتهِ . فيا لها من ساعة تقشعرُّ منها الابدان وترتعد منها الفرائص . فاخذت النساء تصيح وتندب وتشقّ ثيابها وتنتف شعرها . أجل انها لمصيبة كبرى وكارثة عظمى لان اولاد القتيل الفقراء يصبحون ايتاماً ولا احد ينظر اليهم بعين الشفقة والرحمة

وبعد زمان قليل سعى الكهنة مع بعض الوجوه كي يُصلحوا الجرم بدفع الدية . فكان يوم المسالمة أحدًا فوفد كهنة السلط على اختلاف طوائفهم وقدم عدد كبير من جلّة القوم كي يحضروا المصالحة . وكان في صدر البيت اهل القتيل واقاربه . وكان حينئذٍ ثلاثة رجال يمثلون اهل القتيل . فبعد ان هدأت الحركات وسكنت الاصوات قام رجل ينوب عن القاتل ووقف امام اهل القتيل . على ان القاتل نفسهُ يتقدم في بعض الاحيان الى اهل القتيل . وكيف تصف هيئة المجرم في تلك الساعة ! يتقدَّم متذلّلاً متخشّعاً فيفرد عقالهُ عن راسهِ ويضعهُ في رقبتهِ يتقدَّم مكشوف الراس حافي القدمين ليس عليهِ الّا ثوبٌ طويل يغطي جسمهُ ثم يجثو امام الكبير من اهل القتيل ولا ينطق ببنت شفة . فيسلك واحد من اهل القتيل عقالهُ الموضوع في رقبته ويشدّهُ بعنف كأنهُ يريد ان يخنقهُ ويهزّ راسهُ ثم يقول لهُ ثلاث مرات : « مات فلان اين هو ؟ انت قتلته . اعندك هو ؟ » . فيجيب بصوت مرتفع : « عندي » . والسكوت ساند والعيون شاخصة والاعناق مشرئبّة . ثمَّ يقولون له : « اتدفع ما نطلبهُ منك ثمن الدم ؟ » فيجيب : « نعم اطلبوا ما تشاؤون » . فيطلب الاهلون مطالب باهظة لا يقدر على حملها : « تُقدّم لنا ابنتين من بناتك ام من بنات عشيرتك » فيقول : نعم . ويطلبون غنماً وجمالاً وبقرًا وارضاً وسيفاً وبندقية

بما يعادل ٣٣,٣٣٣ غرشاً . وكلما كان الطلب عسراً يكون الجواب سريعاً ليوضح للجميع انهُ مستعدّ ليقدم نفسهُ فداء عن القتيل . وحينما ينتهون من سرد المطالب القاسية ينهض الحاضرون ويقول اكبرهم : « يا فلان طلبتَ حقك ولك ان تطلب اكثر من ذلك . ولكن ألا تترك شيئاً من شان الله » فيقول : قد تركت ما طلبت لاجل الله . ويقول آخر : ولاجل الشيخ فلان ألا تترك شيئاً ولاجل فلان . ومن شان خاطر فلان . . . هكذا كل شيخ يخفض من المطلوب الى ان يصير المطلوب معقولاً وقليلاً . وفي حفلة الدم التي حضرناها طلب اهل المانت الدية الاسلاميَّة وكانوا يخفّفون المبلغ حتى صار ثمانين ليرة فرنساوية . ويقدّمون علاوة عن الدية عشرةً من العبي وخرفاناً وسكّراً وارزاً وغيره مما تجود به نفسهم . وبعد ذلك يصلح اهل البيت وليمة للحاضرين يسمونها « ذبيحة الدم »

ولا ريب ان القارىء اللبيب يستغرب عادة العرب في طلب بنات ديةً عن نفس القتيل . أجل وقد ورد مثل ذلك في شريعة حمورابي حيث كانوا يطلبون نفوساً بشرية بدلاً عن نفس القتيل والعرب الحاليون يتركون الدية كلها ولا يتركون البنات المطلوبة لان الدم بالدم يفتدى

فبعد ان يقف رأيهم على شيء يقوم اقرباء القتيل وينهضون القاتل او وكيلهُ ويقبّلون لحيته ويضعون الكوفيَّة العقال على راسه ويجلسونهُ بالقرب منهم . ولا بدَّ لكل من الفريقين ان يقدّم كفيلاً على صدق مصالحته وهذان الكفيلان يحملان الفريقين على حفظ المواعيد ودفع المطالب . ويعقدون لاهل القتيل راية بيضاء ويقولون : « بيّض الله وجه فلان »

ولقد يوجد بعض الاختلاف بين العشائر في تأدية العقلة فعرب الحويطات والمجالي يطلبون من بعضهم الف غرش وسلاح القاتل وبعض النعاج وفرساً . وعرب الحمايدة يدفعون خمسين نعجة لصاحب الحق . وعرب بني صخر يقدمون الى سكان مادبا مئتين وخمسين ريالاً . والعدوان يطلبون اربعين بعيراً وبندقيَّة وسيفاً . واذا قُتلت احدى النساء فالقاتل او عشيرتهُ يدفع دية مضاعفة واذا كانت المرأة حبلى يقدّمون دية شخصين . ولقد يخفّف جرم القاتل اذا قتل قريبهُ عن غير تعمّد كما ذكرنا في الحادثة السابقة

واذا سار اعرابي ووجد قتيلًا على الطريق عليه ان يرجع ويخبر اقرب الشيوخ بما رأى: « يا شيخ فلان وجدتُ فلانًا قتيلًا في ارض كذا ». فيمضي الشيخ الى حيث القتيل ويأتي به الى اهله ويسعى بمعرفة غريمه ويسأل اهل بيته عن اعدائه . فلا شيء يُخفى في البادية لان القاتل يترك اثرًا بعده . وكثيرًا ما يطلبون قفاة الاثر ليعرفوا القاتل فهؤلاء يعرفون جنس القاتل ان كان رجلا او امرأة ان كان شابًا او كهلًا . ومنهم من يعرف المرأة ان كانت عذراء او متزوجة كما ذكر لنا ذلك بعض الثقات . واذا عُرف القاتل يقول الشيخ لاهل القتيل: « اطلبوا دم القتيل من فلان » . وربما اخذ القاتل نفسه علمًا وطاف به حول الخيم قائلًا: « أخبروا العرب اني انا قاتل فلان من اراد اخذ الثار فليصوّب سهامه نحوي ». فعشيرة القاتل ترتاح فكرًا ولا تخشى من أضرار تلحق بها لان القاتل افرز نفسه عن عشيرته فهو مسؤول وحده عن جريمته

وشيخ العشيرة يستطيع ان يحرم بعض المجرمين من حقوق العشيرة بحيث انهُ اذا قُتلوا فلا يُطالَب القاتل بدمهم . فان اصحاب المنكرات وارباب الفواحش الذين لا يرعوون عن غباوتهم يتهدّدهم الشيخ ويوبّخهم على قبح سيرتهم مرّات عديدة فان لم يرتدعوا يطردهم من عشيرته وذلك يكون بحضرة وجوه القوم فانهُ يفرش عباءته ويتبرأ منهم وهذا الطرد القاسي يسمى « انفراش العباءة » او « نشر النفس ». فبهذا الكلام يعلن لجميع العشيرة وللاعراب كلهم ان المجرم قد قُطع من حقوقه المدنية وانهُ يُعدّ كوحش الصحراء فمن قتله لا يطالب بدية . غير ان عددًا من هؤلاء الاشرار يرتدّون عن فواحشهم فيأتون في ايام فرح كعيد بيج او يوم تطهير او عرس ويقبّلون يد الشيخ ويسترحمون الحاضرين بان يصفحوا عن سيرتهم الماضية . ويقيمون على انفسهم شروطًا قاسية فيُردّون الى حقوقهم الاولى . وكذلك المتيّل وشارد الثلاثة(١ وشاهد الزور لا يقام لهم اعتبار فاذا قُتلوا فليس لهم دية . والعرب الاقدمون يزعمون ان ليس لدم العبيد ديةٌ فيقولون: دم العبيد يطلول كقول الشاعر:

دماؤهم ليس لها طالبٌ ... بطلواة مثل دم السيد

وكذلك العرب الحاليّون يقتفون اثار من سبقهم في رأيهم هذا

(١) اذا ترافق ثلاثة انفار في طريق وخرج عليهم لصوص او أعداء وهرب احدهم وترك رفاقهُ فهذا الهارب يدعى هارب الثلاثة او شارد الثلاثة . وهو مكروه مرذول

وقلنا في ما سبق من الكلام ان الذين تصيبهم سهام الانتقام هم اهل القاتل او اقرباؤه الى الدرجة الخامسة . اي ان ابا القاتل وجدّه واولادهُ واولاد اولاده يُقتَلون اذا وُجدوا في سَوْرة الغضب وكذلك اولاد العم واما الاباعد من الأُسرة كابن الخالة فلا يؤذى بضرر بل يقدم « بعير النوم » ويبقى في خيمة غير خائف صولة الاعداء

٧ من الطنيب

الطنيب عند العرب كلمة مشتقة من الطنب وهو حبل الخيمة لان الخائف اذا انهزم امام عدوه ولقي في طريقه بيتاً مرفوعاً يمسك باطناب البيت فيصبح دخيلا ويضطرُّ ربُّ البيت بان يدافع عنهُ فهذا هو المعنى القديم المستعمل في معجم اللغة . غير ان الطنيب في ايامنا الحاضرة هو الجار كما جاء في شعر السموأل :

وما ضرّنا أنّا قليل وجارنا عزيز وجارُ الاكثرين ذليلُ
لنا جبلٌ يحتلُّه مَن نجيره منيعٌ يرذُ الطرفَ وهو كليلُ

ومن امثال العرب : من تعلّق بأطناب بيتي فهو آمن من ذمّتي . ومن قولهم ايضاً : اطلب الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق . والطنيب هو بمعنى الجار

ويعتبَر المرء طنيباً اذا علّق بعض آلات صناعته على طُنُب من أطناب الخيمة لانه يصبح جاراً ومستجيراً . وهذه العادة كانت جارية في عهد الجاهليين فكان الرعاة يعلّقون جرابهم والشعراء ربابهم وعودهم والحارثون سكّة حراثتهم . والفوارس كانوا يغرزون رمحهم او سيفهم بجانب الخيمة يشيرون بذلك على انّهم اصبحوا جيران اهل البيت . ومنهم من يكتفي بالكلام فقط فيقول : « يا شيخ فلان يا ابا فلانة انا طنيبك » . فيقول له : « يا هلا بك » . فمن الاعراب من يترك عشيرتهُ وبيت ابيه فيحمل خيمتهُ ويرفعها الى جانب شيخ عظيم . ويكون ذلك اذا خشي المرء عدوّاً لا يقدر على مقاومته او وجد ضدّهُ عدداً وافراً من الاعداء لا يستطيع الى منازلتهم سبيلاً او قدم طلباً للرزق والشغل عندهُ في حراثة ارضه . وهذا ما كان يجري في الاجيال الوسطى على عهد الأمارات (féodalité) وذلك ينشأ من اجتماع بعض الناس الذين يلتفّون حول امير ذي سطوة واقتدار فيصبحون من رعاياهُ يستخدمهم لغاياته

ومصالحه الشخصية . فهم يخدمونه وهو يدافع عنهم ويقدّم مالاً وارضاً وربما زوّجهم ببنات عشيرته . فما من احد يضطرّ الى مجاورة الاعراب الّا يكون ضعيفاً او فقيراً او بائساً . ويقول العارفون بعادات العرب ان الضيف يسمّى ضيفاً مدة ثلاثة ايام وان طال مكثه عُدَّ طنيباً . وكم من مرّة رأينا عدداً وافراً من الفقراء نزلوا بالقرب من امير كبير فسُمّوا باسمه وتطبّعوا بطبائعه وقد نسوا اصلهم ونسبهم بعد طول الزمان

ومن يقبل المدافعة عن غيره يجب ان يكون غنياً ذا ثروة طائلة كريم الاصل جواداً . فان استطاع المرء ان يدافع عن طنيبه يقول له : « مرحباً بك وبقدومك أبشر بالعزّ والهناء » . ثم يوصي اقاربه بان يكرموا الطنيب ويقدموا له دلائل اللطف والوداد وان كان عاجزاً عن حمايته يقول له : « إختر غيري اخير مني » . وكثيرون من الأسر الفقيرة تستجير بالعشائر الكبيرة فانّ عدداً كبيراً من عرب الشرارات قد استجاروا ببني صخر . والقبائل الكبرى المعروفة بكرمها تقبل عدداً وافراً من المستجيرين حولها . يحكى ان امرأة غريبة من جبل نابلس نزلت طنيبة عند قفطان الحامد . وفي وقت الحصاد اخذ الحصّادون يحصدون القمح وهنّ تلتقط وراءهم على انها تعدّت حقوق اللّقط فصارت تسرق من البيادر . فرآها احد الحصّادين وضربها بكتلة تراب على ظهرها فجرحها فاخبرت قفطان بذلك وقالت : « انا طنيبتك خذ حقي من ضاربي » . فاستاء جداً وامر الحصّاد ان يقدّم لها ثلاثة احمال حنطة من حصّته وقال له : كيف تضرب طنيبتي وتهينها يا عديم الشرف . قال : هي سارقة . قال : أخبرني عنها وانا اردعها . ثم لما ذهب الحصّاد شتم المرأة وزجرها وقال : من استجار بشيخ يا ابنة اللئام عليه ان يظهر بمظهر الاحترام . لو تعهدتك دفعة ثانية تسرقين او سمعت عنك ما لا يُسرّ القلب فأطردك من امام وجهي ومن عشيرتي

وفي ايّامنا الحاضرة نجد بعض الأسر المسيحية في شرقي الاردن تعزو نفسها الى غير عشيرة وتسمّى باسمها فنصارى الكرك يُسمّون باسم المجالي واسرة النمور في السلط ينتمون الى العراملة وهذه الاخيرة هي عشيرة اسلامية مشهورة برجالها وشريف مناقبها

٨ من القصير

القصير هو الذي يبني خيمتهُ في منتصف الخيم المختصة باحدى العشائر القوية وكثيرًا ما يستعمل العرب كلمة القصير بمعنى الطنيب . فالقصير يترك عشيرته ليسكن عند غير عشيرة لاسباب وافرة منها انهُ يريد ان يتزوج او يُورث الارض او ليهرب من مكروه لحقهُ او سيلحقهُ في عشيرتهِ او ليجد مرعى لغنمهِ . على ان القصير في نزولهِ بين العرب يلتزم بفرض عزيز شريف لا يلتزم بهِ الطنيب . وبهذا الواجب يتميَّز عن الطنيب . اذا حدثت غزوة وسرق الغازون ونهبوا ما يختص بتلك العشيرة النازل في حماها فانهُ مضطرٌ بان يسعى ليرجع ما سُرق . على انهُ لا يدافع الَّا عن صاحب الخيمة التي على يمينهِ وشمالهِ . فيرسل رسلًا الى عشيرتهِ او يذهب هو بنفسهِ الى الغازين ويرجوهم ان يردّوا ما سلبوا . ويقول: « انا قصير فلان وفلان من شان مَن خلق الدنيا ووضع الجارَ فيها . من شان مَن امر بحفظ الجار والمحاماة عنهُ ردّوا ما سُلِبَ لهُ من الغنم والابل » . فيردّون السلوب دون تأخير ويخشون من الملامة والحروب اذا أبوا ان يردّوا ما طُلب

وربَّما خاف على نفسهِ من مكروه يتزل بهِ اذا سار الى عشيرتهِ فيرسل وفودًا باسمهِ . ذلك يكون اذا هرب القصير من عشيرتهِ لقتل او لسرقة او لغير ذلك . فهما أُخذ يُرَدُّ للقصير اكرامًا لهُ واحترامًا . ويسعى ايضًا عند غير عشيرتهِ ويكرمونهُ لانهُ قصير اي عاجز وقاصر . وان أبوا ان يردّوا ما سلبوا تُضرم نيران الحرب لان القصير يستنهض عزائمها على إخاء العار . والعشيرة مهما كانت معادية لهُ تلتزم بالنزول في ساحات الوغى كي تعيد الشرف المفقود . والعرب يكرمون قصيرهم اكرامًا جزيلًا ولا يخونونهُ ابدًا . ومن غريب ما يجري ان بعضًا من التجار يأتون وينزلون في خيم العرب او عند الشيخ فيبيعون بضاعتهم من ملبوس ومأكول فيلتزم الشيخ بان يجمع لهم الديون من المديونين . واذا تعصَّب المديون وامتنع عن الدفع يضطر الشيخ الى الدفع « كي يبيض وجههُ امام القصير » واذا سُرق شيء من القصير عن جهل او عن تعمُّد يُردُّ لهُ حالًا . فهذا هو القصير وواجباتهُ وحقوقهُ

٩ حق العرض

العرض هو شرف المرأة وجمالها وتاج يكلل هامتها بالحسن والرواق وبدونه تصبح مرذولة تعيسة . فالبادية هي بلاد قد تنزهت عن المنكرات وأضحت اشرف من المدن الغناء التي يظهر فيها المنكر ظهورا جليا . فالنساء في القفر على وجه العموم كما اكد لي بعض الثقات هن عفيفات يتجنبن الطرق السافلة وابواب المحرمات . وقد اكد لي عبد الهدي وشيوخ السلط ان النساء البدوية تسير وحدها في البادية اياما كثيرة ولا احد يعارضها او يتعدى عليها . على ان اكبر الجرائم التي تحدث في البيداء هي الخطف . وكم من شيخ بكى على ابنته التي كانت سعادته في هذه الدنيا غابت عن انظاره في ليلة داجية فبات يطوي الايام والاوقات بالحزن والبكاء . ويقولون : « فلانة خطفت فلاناً » ولا يقولون فلان خطف فلانة . واليكم وصف ذلك اذا رام المجرم ان يتزوج بابنة على غير ارادة ابيها يتفق معها ويتواعدان الى زمان ومكان محدودين واذا ستر الليل الارض يأتي الى الابنة ويركبها وراء فرسه ويهرب بها الى بلاد بعيدة فهذا ما يسمى خطفا . وربما وجدها واردة على عين ماء او في حقل فخطفها . وهذا الخطف كثير جداً فلا يمر شهر الا ونسمع خبراً كهذا بين الاعراب وذلك يتأتى من اهل الابنة الذين يريدون ان يبيعوا بناتهم حين زواجهن . فان الابنة عند العرب وفي شرقي الاردن تكون لمن يقدم اكثر مالا وحلالا ولذلك يصير الزواج عن غير حب ووداد

ولا بد المجرمين في هذه الامور عقاب شديد فاذا خطفت ابنة من قبيلة قريبة يقوم اهلها واقاربها يستنهضون عزائمهم كي يرجعوا الشرف المفقود والابنة المسلوبة ولهم الحق بأن يصنعوا ما يشاؤون لانهم مدة ايام ثلاثة يسوغ لهم ان يقتلوا الخاطف ويهلكوا غنمه ويهدموا خيمته ويذبحوا فرسه ولا يبقون لانفسهم شيئا اي انهم يسلبونها اسلا كما امر الرب موسى ان يفعل بنو اسرائيل ببعض مدن الوثنيين واذا ابقوا لانفسهم شيئاً يرذلون ويهانون

على ان اهل المخطوفة يحل بهم الخجل والعار فيرحلون وينزلون وحدهم فانهم يؤثرون الغربة والعزلة على وطنهم الاصلي كما حدث لاهل مادبا فانهم رحلوا من

الكرك لأن المجالي خطفوا ابنةً لهم فنزلوا بخربة مادبا . ومن يقدم على الفواحش بنفسٍ راضية يردعهُ الشيخ مع وجوه العشيرة مراتٍ عديدة فان أبى يحكمون عليه بالنفي فدمهُ مطلولٌ لا يُطالَب بهِ ابدًا فلا ريب ان هذه العادة الشريفة تحمل العرب على تجنب المنكر خوفاً من العقوبات

ومما يخفف الجرائم في البادية خوفهم من العار والهوان لان البادية لها آذان تسمع وعيون تنظر فلا يخفى فيها خافٍ ولا سرٌ مكتوم فلا شيء إلَّا وسيظهر عاجلًا او آجلًا . قال احدهم : ان اهل البادية كالمشرفين على رأس الجبل يراقبون الحركات والاشارات الخفيَّة . ومن وُجد في جرمٍ فظيع تقطع اشجارهُ وتحرق بيادره وكثيرًا ما احرقوا خيمة الجاني ونثروا رمادها في الهواء

ولقد اتخذ العرب وسائط فعَّالة لمنع الفواحش فاذا احسَّ أبٌ بجرم ابنتهِ يقطع رأسها ويعلقهُ على رمحٍ ويطوف بهِ في كل القبيلة قائلًا : « هكذا يعاقب المجرم » ومنهم من يَشدها حيةً فيغطيها بالتراب الى ما فوق رأسها ومنهم من يغمرها بالتراب الى رأسها فقط فتأتيها الوحوش وتذيقها من العذابات أمرَّها ومنهم من يسقيها السُّمَّ الزعاف ومنهم من يضع على جسمها دبساً او عسلًا ويتركها فريسة الذباب تموت اشنع الميتات ومنهم من يأخذها الى الفلاة فيضربها ضرباً أليماً ثم يربطها بأوتادٍ في الارض الى ان تفترسها الحيوانات الضارية . وقد سمعنا ان رجلًا ألقى ابنتهُ في بئرٍ عميقة ومنهم من ربطها الى شجرةٍ برداء وكان وجهها الى نور الشمس فاحترقت وماتت من وَقدات الأنوار واكثر الناس يقتلونها بلا شفقة بسيف حادٍ او برصاصة في رأسها . وذكروا لنا أن أباً في فصل الشتاء القارس ترك ابنتهُ خارج المحلَّة على صخرةٍ صمَّاء وكانت الامطار تهطل والرعود تقصف والثلوج تسقط فماتت وقد جمدت دماؤها ويبست اعضاؤها

٩ ص الملح

لم يخطر ببال انسان ان للملح حقاً واليكم وصف هذا الحق : اذا حلَّ ضيفٌ في خيمة احد الرجال يهتمّ رب البيت بتهيئة الطعام وإيلام مأدبة مناسبة فينال المسافر نصيبهُ ثم يسافر فاذا لقيهُ في الطريق سارق فسلبهُ ماله فانهُ يعود الى خائفهِ ويقول

له : « ترى يا شيخ فلان اني ما لحتك واكلت من طعامك ولم يختلط طعامك الى الآن بطعام غيرك أتطمع لي الحق من سارقي » . فيقول الضائف : « نعم قد أكل من ملحي فهو اهل بالحماية » . فيستطي فرسهُ ويصحب معهُ بعض الابطال ثم يقتفون آثار السارق ويرسلهم فِرَقًا فرقًا الى ان يقف على حقيقة الحال فيسكون السارق ويأمرونهُ بردّ اضعاف ما سرق ويقول له : « اقعد للحق واردد ما سرقت لأكل ملحي » فاذا ابى بعد ثالث مرة ان يعيد الشيء المسروق يأتي الشيخ الى المضرب وينهب ما وجد في خيمة السارق من غنم وشاء وقمح ومال واذا وجد راعي السارق يعدو الشيخ فيأخذ ما يشاء من مواشيه . واذا لقي نساءه صادرات من المورد حاملات قِرَبهنَّ على ظهورهنَّ يشقّ القرب ولا يبالي ويداوم هذه الاعمال الى ان يرجع السارق ما سرق

ومن غريب امورهم انهُ يستحلّون السرقات الكبرى كالغزو ويخشون من السرقات الطفيفة فالسارق الكبير يُمدح بالاشعار البديعة والسارق الصغير يُعاقب شديدًا فان عرار بن جازي قد اتى بالسارق وربطهُ بشجرة وضربهُ بالسياط حتى سالت دماؤه . وقد اجاد من قال وهو عليان الشاعر : السرقة تحلّ للاغنياء وتحرم على الفقراء . ومن ظريف ما حدث منذ زمانٍ بعيد ان قاضي السلط دُعي يومًا الى مأدبة عند قفطان بن حامد فهرع الشيخ قفطان وأتى بنعجةٍ من غنم غيره وأصلحها له عشاء ولما تمّ إصلاحها قال له : « تمّ يا قاضينا وكُلْ » فقال القاضي : لا تأكل من مال الحرام . فجرد قفطان سيفهُ وقال : « ان لم تأكل يُدرج رأسك درج الحصاة في السيول انت تبتلع الرشوة الكبيرة وتخاف من هذه الطفيفة أنا غدًا اردّ من غنمي كالذي اخذت وانت لا تردّ ما اخذت »

١٠ من الوصي

إن الأسرة المتحدة الاغصان لا تحتاج الى وصيّ اذ تقوم بحاجاتها بنفسها فالاب لا يهتمّ بمستقبل أولاده لأن الاهلين يدافعون عن حقوق الأيتام وروابط الدم . وصلة الرحم هي وثيقة بهذا المقدار حتى ان الاب يموت في فرج وسرور ولا يهتم باولاده لعلمهِ بانهم في ذمّة اهلهِ واقاربهِ وعشيرته غير ان الاعراب كثيرًا ما يستثنون امهم ويختارون رجلًا مشهورًا ببسطوته ونفوذ كلامهِ ويوكلونهُ باولادهم

وتكون ساعته رهيبة محزنة حينما يمتدُّ الاب الفقير على سرير الموت ويدير بانظاره الى اليمين والشمال ولا يرى عيناً تبكي لبكائه او قلباً يحنُّ ويشفق على ابنائه على انهُ يحيي في فكره ذكر بعض الاحباء قد عهد فيهم المروءة والكرم فيصرخ قائلاً : « فلان هو وكيلكم يا أبنائي » . فبتلك الكلمة يضع اولاده تحت سلطة الشيخ ويقول للحاضرين : « ترى اني موصي بحياتي طوق حمام من رقبتي لرقبته من اليوم الى آخر يوم أطلعت خطيئتي وخطيئتها برقبته » فان كان الوصي غائباً وحينما يسمع بتلك الوكالة يقول : « نعم صرتُ اباهم وامهم في كل ما يطرأ عليهم » . وان كان حاضراً يقول : « على عيني ورأسي » . فاذا اصاب الأولاد من الطوارق والاحزان فعلى الولي ان يمدَّ لهم يد المساعدة . وكثيراً ما يكلون الوصي من غير عشيرة او من غير مذهب . فقد عاينّا بعض الاعراب يوكلون اولادهم بأسرة نصرانية

وعند العرب طريقة سهلة يجرون عليها في مثل هذه الحالات فان الفقير اليتيم يحمل هديَّة ثم يذهب الى خيمة الولي ويقول له : « عليك وعلى عيالك حتَّ الوصاة انا وانت بجناح الله » . فيقبل الشيخ الهدية ويصبح وليَّه فيدافع عن حقوقه في كل أمر يحدث له

ولنراجع ايضاً ما سطَّرناهُ في مقالتنا السابقة حيث اثبتنا ما يترل بالمنيَّل والشارد من الذلّ والهوان (المشرق ١٧ | ١٩١٤ | : ٦٦٣) وما يعطى القاضي من الوزقة (١٧ : ٦٦١) . ولقائد الغزوات او عقيدها حقوق سنذكرها ان شاء الله في فصل الحرب عند العرب

هذا ما عثرنا عليه في رحلاتنا الى مضارب العرب أوردناهُ تتمة لمقالتنا الاخيرة وتفكهة للخواطر والاذهان

تمت

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ الحديث والتوراة

	الحديث
سفر الحكمة (حك)	
الربّ يفحص اعمالكم فأرباب القوّة بالقوّة يُفحَصون وانّ للاشدّاء امتحاناً شديداً (حك ٦ : ٤-٧)	اشدُّ الناس عذاباً للناس في الدنيا اشدُّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة (جس ٥٥)
نفوس الصدّيقين بيد الله لا يمسّها عذاب وفي ظنّ الجهّال انهم ماتوا . . امّا هم ففي السلام (حك ٣ : ١-٣)	انّ الله لا يضيع أجر المحسنين (خ ٣ : ١٩٠) ومثله في سورة آل عمران (٣ : ١٢٣) : لا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء . . . ولا هم يحزنون
محّص الله الصدّيقين كالذهب في البُودقة . . . فهم في وقت افتقادهم يتلألأون (حك ٣ : ٦-٧)	مثل المؤمن حين يصيبه البلاء كمثل الحديدة تُدخَل النار فيذهب خبثُها ويبقى طيبُها (جس ١٢٥)
نشيد الاناشيد	الحديث
انيّ نائمة وقلبي مستيقظ (نش ٥ : ٢)	تنام عيناي ولا ينام قلبي (جس ١٧٥) = انا معشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا (جس ١٢٣ خ ٢ : ٤٤)
سفر يشوع بن سيراخ (سخ)	الحديث
يا بُنيَّ اتّخذ التأديب منذ شبابك . . . تروّ في اوامر الربّ فهو يبلّغك ما تتمنّاه (سخ ٦ : ١٨ و٢٢)	انّ الله يحبُّ الشابّ الذي يفني شبابَهُ في طاعة الله (جس ٢٩٨)

الماء يطفىء النار المُلتهبة والصدقة تكفّر الخطايا (سخ٣: ٣٣) = وفي لوقا (١١: ٤١): تصدّقوا مما في ايديكم فيظهر لكم كل شيء

في جميع اعمالك اذكُرْ أواخرك فلن تخطأ الى الابد (سخ ٧: ٤٠)

اوصاهم (اي البشر) كلّ واحد في حقّ القريب (سخ ١٧: ١٢)

كلّ رجس مُبْغَض عند الرب (سخ ١٥: ١٢)

الهدايا والرُّشى تُعمي أعين الحكماء وكلجام في الفم تَحْجزُ توبيخاتهم (سخ ٢٠: ٢١)

الإفراط من شرب الخمر خصومة وتراع ومرارة للنفس (سخ ٣١: ٣٨) وفي رسالة القديس بولس الى افسس (٥: ١٤): لا تسكروا من الخمر التي فيها الدعارة

عجّل الزمان واذكر الأجل (سخ ٣٦: ١٠)

النُّسّة تأتي بالشيخوخة قبل الاوان (سخ ٢٦: ٣) = كالسّ في الثوب والسوس في الخشب هكذا الكآبة في قلب الرجل (سخ ٢٥: ٣٠)

الصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار (جس١٢) = تصدّقوا فانّ الصدقة فكاكُكم من النار (جس ٢٣)

أكثِرْ ذكر الموت بسببك عمّا سواه (جس ٢١٣) = أكثروا ذكر الموت فانهُ يمحص الذنوب ويزهّد في الدنيا (جس ٧١)

كلُّكم راعٍ وكلّ راعٍ مسئول عن رعيّته (من ١١٥ م ٦: ٨ خ ١١٥)

انّ الله يُبْغض الفاحش البذيء (من ٢٤)

الهديّة تعوّر عين الحكيم = الهدايا للاشراء تُذلّ = الهدية تذهب بالسمع والقلب والبصر (جس ١٧٦)

اجتنبوا الخمر فانّها مفتاح كلّ شرّ (جس ١٤) = الخمر جماعُ الاثم (جس ٧٥)

اغتنموا العمل وبادروا الأجَل (جس٣٠)

الهمُّ نصفُ الهَرَم (جس١٧٦). وقال المتنبي في هذا المعنى:

والهمُّ يخترم الجسيمَ نحافةً
ويُشيبُ ناصيةَ الصبيّ فيهرمُ

سفر اشعيا (شع)

انطلقْ وقُلْ لهؤلاء الشعب اسمعوا سماعاً ولا تفهموا وانظروا نظراً ولا تعرفوا (شع ٦: ٦)

ان هذا الشعب يكرمني بشفتيه وأمّا قلبهُ فبعيد عني (ش ٥٢: ١٣ مت ١٥: ٨)

الحديث

يدعو الله المنافق فلا يسمع ينظر ولا يبصر (من ٢٣٠) = وفي سورة الاعراف (٧: ١٩٧): وان تدعوهم الى الهُدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليكوهم لا يُبصرون

ويل لمن يذكر الله بلسانه ويعصي الله في عمله (جس ١٧٨)

سفر ارميا (ار)	الحديث
ملعون الرجل الذي يتوكل على البشر فانهُ ينصرف عن الربّ (ار١٧ : ٥)	مَنْ سعى الى الناس فهو لغير رُشده (حس ١٥٥) . ومثلهُ لعليّ بن ابي طالب (ص٢٢) : ضلّ سَعْي من رجا غير الله
سفر حزقيال (حز)	الحديث
المنافق اذا تاب عن جميع خطاياه . . . فانهُ يحيا حياةً ولا يموت (حز١٨ : ٢١) وفي سفر الحكمة (١١ : ٢٤) : انك تتغاضى عن خطايا الناس لكي يتوبوا	التائب من الذنب كمن لا ذنب لهُ (حس ١٧٧) وفي الايجاز والاعجاز (ص٦) : من كلام النبي : التوبة تهدم الحَوْبة
سفر دانيال (دا)	الحديث
يضيء العقلاء كضياء الجَلَد والذين هدوا الى البرّ كثيرين كالكواكب الى دهر الداهرين (دا١٢ : ٣)	انّ مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها (حس ١٣٧)
وفي دانيال تسبحة الثلاثة الفتية في اتون النار يدعون الملائق الى تسبحة خالقها	ورد في الحديث وفي السور الصف(١٦١ : ١)والجمعة (١٦٣ : ٢)والتغابن(٦٤ : ١) والملك (٦٧ : ١)مثلها معنًى ولفظًا
سفر زكريّا النبيّ (زك)	الحديث
ابتهجي جدًا يا بنت صهيون واهتفي يا ابنت اورشليم هوذا ملكك يأتيك عادلاً وديعاً راكباً على اتان (زك ٩ : ٩)	قال في لسان العرب (٥ : ٩٦) : في حديث عداء : أبشري أورَى تَلِم براكب الحمار (قال يريد بيت الله المقدّس)
الانجيل الشريف	الحديث
الانجيل الشريف (متّى : مت . لوقا : لو . مرقس : مر . يوحنّا : يو)	كل بني آدم يمسّهُ الشيطان يوم ولدتهُ امّهُ الا مريم وابنها (حس ٢١٩) = ما من بني آدم مولود الّا يمسّهُ الشيطان غير مريم وابنها (حس ٢٩٨)
الربُّ معكِ . مباركةٌ انتِ بين النساء لو ١ : ٢٨)	

امتلأت اليصابات من روح القدس وارتكض الجنين في بطنها (لو ١ : ٤١)

كان قد أوحي اليه (الى سمعان الشيخ) انهُ لا يرى الموت حتى يعاين مسيح الربّ (لو ٢ : ٢٦)

ليس امرٌ غير ممكن لدى الله (لو ١ : ٣٧) = كلّ شيء عند الله مستطاع (مر ١٠ : ٢٧)

كونوا كاملين كما انّ اباكم السماوي كامل (مت ٥ : ٤٨)

الذي يسمع ويعمل فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات (٥ : ١٩)

الويل لكم ايُّها الاغنياء (لو ٦ : ٢٤) = طوبى للمساكين بالروح فانّ لهم ملكوت السماوات (مت ٥ : ٣)

انتم نور العالم . . لا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال لكن على المنارة . . فليضيء نوركم قدّام الناس (مت ٥ : ١٤-١٥)

انتم ملح الارض فاذا فسد الملح فماذا يُملّح (مت ٥ : ١٣)

كونوا وُدعاء كالحمام (مت ١٠ : ١٦)

لا تدينوا لئلاّ تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون وبالكيل الذي به تكيلون

خلق الله يحيى بن زكريا في جلن امه مؤمناً (جس ٢٠٥)

ان روح القدس نفثَ في رُوعي انّ نفساً لن تموت حتّى تستكمل أجلها . . (جس ١١٨)

اذا اراد الله خلق شيء لم يمنعهُ شيء (جس ٢٥)

انّ الله تعالى مُحسن فأحسن (جس ٩٥)

كلّ علم وبالٌ على صاحبهِ الّا ما عُمِل بهِ (جس ١١٤) = تعلّموا من العلم ما شئتم فوالله لا تُؤجروا بجمع العلم حتّى تعملوا بهِ (جس ١٧٣)

ويلٌ الاغنياء من الفقراء (جس ٤٥٥) = نعم الشيء الفقر (جس ١٦٦) = قمتُ على باب الجنّة فاذا عامّة من دخلها المساكين (جس ٢١٤) = الفقر زَيْن عند الناس زين عند الله يوم القيامة (جس ٣٠٣)

انتم نور العالم . . لا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال لكن على المنارة . . فليضيء نوركم قدّام الناس (مت ٥ : ١٤-١٥)

انتم ملح الارض فاذا فسد الملح فماذا يُملّح (مت ٥ : ١٣)

اتبعوا العلماء فانهم سُرُج الدنيا ومصابيح الآخرة (جس ١٠)

مثَل اصحابي كالملح لا يُصلح الطعام الّا به (جس ٤٠٣ الايجاز والاعجاز للثعالبي ص ٦) = قُريش صلاح الناس ولا يُصلح الناس الّا بهم كما انّ الطعام لا يُصلح الّا بالملح (جس ٢١٢) . ومثلهُ للشاعر :

بالملح تُصلح ما تخشى تغيُّرهُ
فكيف بالملح ان حلّت بهِ التِبَرُ

كونوا بُلَغاء كالحمام (احياء علوم الدين للغزّالي) = دخلتُ الجنّة فاذا أكثر اهلها البُلَه (جس ٢١٧)

مكتوب في الانجيل كما تدين تُدان وبالكيل الذي تكيل تُكتال (جس ٤٠٤) =

يُكال لكم (مت ٧ : ١-٢)

طوبى للرُّحماء فانهم يُرحمون (مت ٥ : ٧) = كونوا رُحماء كما انَّ اباكم هو رحيم (لو ٦ : ٣٦)

اغفروا يُغفر لكم (لو ٦ : ٣٧) = هكذا ابي السماوي يصنع بكم ان لم تغفروا من قلوبكم كلّ واحد لاخيه (مت ١٨ : ٣٥)

قال يسوع : يا ابت اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يعملون (لو ٢٣ : ٣٤)

لا يسقط عصفور على الارض بدون ابيكم . . . فلا تخافوا فانكم افضل من عصافير كثيرة (مت ١٠ : ٢٩-٣١)

كلُّ ما تُريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوهُ انتم بهم (مت ٧ : ١٢ ؛ لو ٦ : ٣١) : ومثلهُ في طوبيا (٤ : ١٦) : كلُّ ما تكرهُ ان يفعلهُ غيرك بك فاياك ان تفعلهُ انت بغيرك

انَّ ابن البشر لم يأتِ ليهلك نفوس الناس بل ليخلّصها (لو ٩ : ٥٦)

ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك يا مراني أخرج اوّلا الخشبة من عينك (مت ٧ : ٣ ؛ لو ٦ : ٤٢) = أيها الطبيب اشف نفسك (لو ٤ : ٢٣)

انتم جميعاً أخوة (مت ٢٣ : ٨) . وفي رسالة بولس الى اهل غلاطية (٣ : ٢٨) : ليس عبد ولا حرٌّ لأنكم جميعكم واحد في المسيح

أحبُّوا أعداءكم وأحسنوا الى من

البرُّ لا يَبلَى والذنبُ لا يُنسَى والديَّان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان (جس ١٦٦)

من يَرحَم الناس يرحمهُ الله . ومن لا يرحم الناس لا يرحمهُ الله (جس ١٦٢) = كونوا رحماء فانَّ الله رحيم يحبُّ كلَّ رحيم (من ١١٥)

اسمحوا يُسمح لكم (جس ٥٥) = من لا يغفر لا يُغفَر لهُ . من لا يرحم مَنْ في الارض لا يرحمهُ مَن في السماء (جس ٤٣٦)

اللهمَّ اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (من ٢٥) = ارحم يا رب امتي لأنهم لا يعلمون ما يصنعون (رواية احياء علوم الدين للغزالي)

الله ارحم بعباده من هذا العصفور بفرخهِ (جس ٢٤)

أحبب للناس ما تحبُّهُ لنفسك (جس ١٦ الاغاني ١٩ : ٥٥) = لا يؤمن احدكم حتى يحبَّ لاخيهِ ما يحبُّهُ لنفسهِ (من ١٨٦) . ونظمهُ الشاعر فقال :

واصنع الى الناس كمثل الذي
تختارُ ان يصنعهُ الناس بكْ
انّا بُعثتُ رحمةً ولم أُبعَثْ عذاباً (جس ١٢٥)

اذا اردت ان تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك (جس ٣٦) = روى في الاغاني لسكينة بنت الحسين بن علي (١٤ : ١٧٠) : اني والله واياك كالذي يرى الشمرة في عين صاحبهِ ولا يرى الخشبة في عينهِ = يُبصر احدكم القذى في عين اخيهِ وينسى الجذع في عينهِ (جس ٤٦٧)

المسلم اخو المسلم (جس ٤٤٠) = العبد اخوانكم فأطعموهم مما تأكلون (غ ٣ : ١١٣)

صِلْ مَنْ قطعك وأحسن الى مَنْ اساء

يُبْغضكم (مت٥ : ٤٤ ؛ ولو٦ : ٢٧) = ان احببتم من يُحبكم فايُّ أجرٍ لكم أليس العشّارون يفعلون ذلك (مت ٥ : ٤٦) .

أعداء الانسان اهلُ بيتهِ (مت١٠ : ٣٦) ومثلهُ في نبوّة ميخا (٧ : ٦)

كم مرّةً يخطأ إليَّ اخي فأغفرُ لهُ أإلى سبع مرّات . قال لهُ يسوع . . . بل الى سبعين مرّة سبع مرّات (مت١٨ : ٢١-٢٢)

ملكوت السماوات يُغصب والغاصبون يختطفونهُ (مت ١١ : ١٢)

من ينكرني امام الناس يُنكر امام ملائكة الله (لو ١٢ : ٩) وفي متّى (١٠ : ٣٣) . . . انكرهُ انا قدام ابي الذي في السماوات

لو كان لكم ايمان مثل حبّة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هاهنا الى هناك فينتقل (مت ١٧ : ١٩)

قال الرسل للربّ : زِدْنا ايماناً (لو١٧ : ٥)

من أحبَّ ابًا او امًا اكثر مني فلن يستحقّني . . . ومن اهلك نفسهُ من اجلي يجدُها (مت ١٠ : ٣٧-٣٩)

طوبى لعيونكم لأنها تنظر ولآذانكم لأنها تسمع . . انَّ كثيرين من الانبياء والصدّيقين اشتهوا ان يروا ما انتم راؤون ولم يروا وان يسمعوا ما انتم سامعون ولم يسمعوا (مت ١٣ : ١٦-١٧)

قال يسوع : لأنَّك رأيتني يا توما آمنت فطوبى للذين لم يروني وآمنوا (يو ٢٠ : ٢٩)

البك (حس٢٥٦) = الفضل في ان تصل مَنْ قطعك وتعفو عمَّن ظلمك = أفضلُ الفضل ان تصل مَن قطعك وتُعطي من حرمك وتصفح عمَّن ظلمك (جس٦٦و٢٠٢)

اعدى عدوّك زوجتك وما ملكتْ يمينك (حس ٦٠)

أُغفرُ عن الخادم كلّ يوم سبعين مرّة (من ١٩) = اني لأتوب الى الله في اليوم سبعين مرّة (من ٤٧)

حُفّت الجنّة بالمكاره (التعالبي المحاضرة والتسهيل ص١٠ من نسختنا وفي الايجاز والاعجاز لهُ ص٦-٧ ؛ من ٦٩) = انَّ ابواب الجنّة تحت اظلال السيوف (خ ٣ : ١٩١ جس ١١٢)

اذا سُئل احدكم أمؤمن هو فلا يشكّ (جس ٢٧)

لا يدخل النار من كان في قلبهِ حبّة خردل من الايمان (رواهُ الغزّالي في احياء علوم الدين) = يدخل اهل الجنّة الجنّة واهل النار النار ثمّ يقول الله : أخرجوا من كان في قلبهِ حبّة خردل من الايمان فيخرجون (خ ١ : ١٠)

قل : ربّ زِدْني علماً (سورة طه ١١٤)

لا يؤمن احدكم حتّى أكون احبَّ اليهِ من ولدهِ ووالدهِ والناس اجمعين (خ ١ : ٩) = لا يؤمن احدكم حتّى أكون احبَّ اليهِ من نفسهِ (من١٨٦ . وفي إحياء علوم الدين للغزّالي) انَّ اناساً من امتي يأتون بعدي يودُّ احدهم لو اشترى رؤيتي باهلهِ وماله (حس ١١٥)

طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يَرَني (جس ٢٧١) وفيه : طوبى ثمّ طوبى ثمّ طوبى لمن آمن بي ولم يَرَني = رحم الله

من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني ومن احتقرني فقد احتقر الذي ارساني (لو ١٠ : ١٦) = مَن قبلكم فقد قبلني ومَنْ قبلني فقد قبل الذي ارسلني (مت ١٠ : ٤٠) = الحقّ اقول لكم انّ الذي يقبل مَن أُرسلهُ بقبلني والذي يقبلني يقبل الذي ارسلني (يو ١٣ : ٢٠)

اخواني الذين آمنوا بي ولم يَرَوْني (من ٨٨) = طوبى لمن رآني او رأى مَن رآني (من ٩٥)

تسمون ويُسمَع منكم (جس ١٧١) = أكرموا العلماء . . فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسولهُ (جس ٧٣) = من احبَّ الانصار احبَّهُ الله ومن أبغض الانصار ابغضهُ الله (جس ٤٠٨) = من أحبَّني فقد احبَّ الله ومن اطاعني فقد أطاع الله (من ١٤٦) = من احبَّ العرب فقد احبَّني حقًّا (من ١٤٧) = من احبَّ عليًّا فقد احبَّني ومن ابغضهُ فقد ابغضني (جس ٤٠٨) = من آذى عليًّا فقد آذاني (من ٢٠٤) = من احبَّ الحسن والحسين فقد احبَّني ومن ابغضهما فقد ابغضني (جس ٤٠٨)

انّ الكتبة والفريسيين جالسون على كرسيّ موسى فمهما قالوا لكم فاحفظوه واعملوا به واما بمثل اعمالهم فلا تعملوا (مت ٢٣ : ٢-٣)

انظروا قُريشًا فخذوا من قولهم وذَرُوا فعلهم (جس ١٤٣)

أَوْفُوا ما لقيصر لقيصر وما لله (مت ٢٢ : ٢٠)

أَدُّوا للأُمراء حقَّهم واسألوا الله حقَّكم (رواية احياء علوم الدين للغزالي)

حينئذٍ يُضيء الصدّيقون مثل الشمس في ملكوت ابيهم (مت ١٣ : ٤٣)

انّ اهل عِلّيين يُشرف احدهم على اهل الجنّة فيُضيء وجههُ لاهل الجنّة كما يضيء القمر ليلة البدر لاهل الدنيا (جس ١١٦)

احذروا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الخِرفان وهم في الباطن ذئاب خاطفة . . (مت ٧ : ١٥)

انّ بين يدي الساعة كذّابين فاحذروهم (صحيح مسلم ٦ : ٤) – ومثلهُ للشاعر :

واذا الذئابُ استنجحتْ لك مرّةً
فحذارِ منها ان تعودَ ذئابا
فالذئبُ اخبثُ ما يكون اذا بدا
متلبّسًا بين النعاج إهابا

سألوا في كلّ حين (لو ٢١ : ٢٦) = الحقّ اقول لكم انّ كلّ ما تسألون الآب باسمي يعطيكموهُ (يو ١٦ : ٢٣)

الصلاة خير موضوع فمن استطاع ان يستكثر فليستكثر (جس ٢٦٥) = الصلاة مفتاح كلّ خير (من ١٩٣) = ما اذن الله لعبد في الدعاء حتّى أذن لهُ في الاجابة (جس ٢٨٥)

اذا صلّيت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصلّ الى ابيك في الخفية (مت ٦ : ٦)

اسألوا فتُعطَوا اطلبوا فتجدوا اقرعوا فيفتح لكم (مت ٧ : ٧)

انظروا الى طيور السماء فانّها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الاهراء وابوكم السماوي يقوتها (مت ٦ : ٢٦)

وانتم فصلّوا هكذا ابانا الذي في السماوات ليتقدّس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض (متى ٦ : ٩–١٠)

حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا أكون هناك فيما بينهم (مت ١٨ : ٢٠)

اذا صنعتَ صدقةً لا تعلم شمالك ما تصنع يمينُك لتكون صدقتك في خفية وابوكم الذي يرى في الخفية هو يجازيك (مت ٦ : ٤–٥)= ارملة فقيرة ألقت فلسَيْن . . انّ هذه قد القت أكثر من كلّ الذين القوا في الخزانة (مر ١٢ : ٤٢–٤٤)

كلّ من ترك بيتًا او اخوةً . . . لاجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابديّة (مت ١٩ : ٢٩)

من سقى احد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط . . . فالحقّ اقول لكم انهُ لا يضيع اجرهُ (مت ١٠ : ٤٢)

كلّ من رفع نفسهُ اتّضع ومن وضع نفسهُ ارتفع (لو ١٤ : ١١) = حطّ المقتدرين عن الكراسي ورفع المتواضعين (لو ١ : ٥٢)

اذا دُعيت فامضِ واتّكئْ في آخر موضع (لو ١٤ : ٧)

من اراد ان يكون فيكم عظيماً يكون

صلّوا ايها الناس في بيوتكم فافضل صلاة صلاة المرء في بيته الّا المكتوبة (جس ٦٦)

مَن طلب شيئًا وجدَّ وجدَ . مَن قرع الباب ولجَّ (من ١٣٠) = سَلْ تُعْطَ (جس ٨٥)

لو انّكم تتوكّلون على الله حقّ توكّلهِ لرزقكم كما تُرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً (جس ٢٦٨)

اذا تألّم احد او تألّم اخوهُ فليَقُل : ربّنا انت في السماء ليتقدّس اسمك ليكن ملكوتك في السماء والارض (حديث ابي داود ١ : ١٠١)

عليكم بالجماعة فانّ الله لن يجمع امّتي الّا على هدًى (جس ١٣) = يدُ الله مع الجماعة (الثعالبي الاعجاز والايجاز ٦–٧)

في صحيح البخاري (١ : ٧١) يدُ الله يوم الدين مَن عمل الصدقة سرًّا بحيث لا تعلم يدهُ الشمال ما فعلتهُ يمينهُ = افضل الصدقة سرٌّ الى فقير وجُهد من مقلّ (جس٦٥) = صدقة السرّ تطفئ غضب الله (الاعجاز والايجاز للثعالبي ٦–٧) = من كنوز البرّ كتمان الصدقة (جس ١٧٠)

انّ الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنةً يُعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة (جس٢٦)

من سقى عطشانًا فأرواهُ فُتح لهُ بابٌ الجنّة (من ١٠٤)

من تكبّر وضعهُ الله (من ١٥١) = من تواضع لله رفعهُ ومن تجبّر قمعهُ (جس ٤١٤) = التواضع لا يزيد العبد (ويروى العالم) الّا رفعةً فتواضعوا يرفعكم (جس ١٧٧)

انّ من التواضع الرضى بالدون من شرف المجالس (جس ٤٣)

سيّد القوم خادمهم (جس ٢٤٤ من ٨٦)

لكم خادماً ومن اراد ان يصير فيكم الاوّل يكون عبدًا للجميع (مر ١٠ : ٤٣-٤٤)
انهُ لأسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غنيٌّ ملكوت السماوات (مت ١٩ : ٢٤)

ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فان تدخلوا ملكوت السماوات (مت ١٨ : ٣)
لا تُعطوا القدس للكلاب ولا تُلقوا جواهركم قُدّام الخنازير (مت ٧ : ٦)

من احبَّ نفسهُ فهو يهلكها ومن ابغض نفسهُ في هذا العالم فانهُ يحفظها للحياة الابديّة (يو ١٢ : ٢٥)
اكنزوا لكم كنوزًا في السماء (مت٦ : ٢٠)

انما يتكلّم الفم من فضل ما في القلب (مت ١٢ : ٣٤)
ذُكر في لوقا (١٥ : ٤-١٠) فرح واجد الخروف الضالّ والدرهم المفقود ثم قال الربّ : هكذا يكون في السماء فرح بخاطئ يتوب أكثر مما يكون بتسعة وتسعين صدّيقًا لا يحتاجون الى توبة
الويل لكم ايها الضاحكون الآن انكم ستنوحون وتبكون (لو٦ : ٢٥)
بصبركم تقتنون انفسكم (لو٢١ : ١٩) = الذي يصبر الى المنتهى فذلك يخلص (مت ١٠ : ٢٢)
الرجل الصالح من كنز الصالح يُخرج الصالحات والرجل الشرّير من كنز الشرّير يُخرج الشرور (مت ١٢ : ٣٥)
قال لهم : انَّ موسى لاجل قساوة قلوبكم أذن لكم ان تُطلّقوا نساءكم (مت ١٩ : ٨)

في اصحابي اثنا عشر منافقًا منهم ثمانية لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الابرة (جس ٣٠١) = وفي سورة الاعراف ٤٨ : لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل من سمّ الخياط
لا يدخلنَّ الجنّة الّا مُرْد (من ٧٨)

لا تطرحوا الدرَّ في افواه الكلاب (جس ٤٦١) =لا تطرحوا الدرّ تحت ارجل الخنازير (من ١٩٣ وفي التمثيل للثعالبيّ)
من أحبَّ دنياهُ اضرَّ بآخرته ومن احبَّ آخرتهُ اضرَّ بدنياهُ فآثروا ما بقي على ما يفنى (جس ٤٠٨)
من يتزوّد في الدنيا ينفعهُ في الآخرة (جس ٤٢٦)
من احبَّ شيئًا أكثر من ذكره (جس ٤٠٨ من ١٤٦)
الله افرحُ بتوبة عبده من العقيم الوالد ومن الضالّ الواجد ومن الظمآن الوارد (جس ٣٥٧)

مَنْ أدب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي (جس ٤١٠)
النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وانَّ مع العسر يسرًا (جس ٤٤٤) = الصبر مفتاح الفرج (من ٩٣)
الرجل الصالح يأتي بالخير الصالح والرجل السوء يأتي بالخير السوء (جس ٢٢٢)

ما أحلَّ الله شيئًا ابغض اليه من الطلاق (جس ٢٨٤ من ١٣٩)

انّ كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه (مت ٥ : ٢٨)

زنا العينين انظر (جس ٢٣٤) = ما من مسلم ينظر الى امرأة اوّل دفعة ثمّ يغضّ بصره الّا احدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه (جس ٢٩٩)

الويل لكم ايّها الكتبة والفرّيسيون المرائون فانكم تبنّدون قبور الانبياء وتزيّنون مدافن الصدّيقين . . . تشهدون على انفسكم انكم قتلة الانبياء (مت ٢٣ : ٢٩)

لعن الله اليهود . . . اتّخذوا قبور انبيائهم مساجد (خ ٣ : ٨٣) = قاتل الله اليهود اتّخذوا قبور انبيائهم مساجد (جس ٤٠٤)

الويل لكم ايّها الكتبة والفرّيسيون انكم تشبهون القبور المجصّصة التي تُرى للناس من خارجها حسنة وهي من داخلها مملوّة عظام اموات وكلّ نجاسة (مت ٢٣ : ٢٧)

مثل الفاجر كمثل القبر المشرّف المجصّص يعجب من رآه وحوفه ممتلىء نتنًا (جس ٤٠١)

اكبّ يسوع يخطّ باصبعه على الارض . . . فلمّا سمعوا طفقوا يخرجون واحدًا واحدًا (يو ٨ : ٦-٩)

قد كان نبيّ يخطّ فمن وافق خطّه ذلك الخطّ عُلم (من ١٠٨)

انّ في انطلاقي خيرًا لكم (يو ١٦ : ٧)

حياتي خير لكم ومماتي خير لكم (من ٦٩) = حياتي خير لكم . . . فاذا انا متّ كانت وفاتي خيرًا لكم (جس ١٩٧)

اقول لكم انّ الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادا لابرهيم (مت ٣ : ٨)

لو انّ الماء الذي يكوّن منه الولد اهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدًا (جس ٣٦٧ من ١٦٣)

ان كنت تريد ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا (مت ١٩ : ١٧)

من اشتاق الى الجنّة سابق الى الخيرات (جس ١٤٨)

كثيرون من الاوّلين يكونون آخرين ومن الآخرين يكونون اوّلين (مت ١٩ : ٣٠)

في صحيح البخاري عن ابي هريرة : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة

الفصل العشرون في متى (٢-١٦) يذكر الفعلة الذين احدوا جميعهم دينارًا مع اختلاف ساعات شغلهم

روى ذلك البخاري في صحيحه (١ : ١٢٩ و ٣ : ٤٦-٤٧) . . . أوتي اهل التوراة فعملوا حتى نصف النهار فأعطوا قيراطًا قيراطًا . ثمّ أوتي اهل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر فأعطوا قيراطًا قيراطًا . ثمّ اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين الخ

واخرج يسوع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل (مت ٢١ : ١٢)

نهى عن الشري والبيع في المسجد (جس ٤٤٥)

إمّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الّا الآب (مر ١٣ : ٣٢)

انّها ستأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيّئات الى قيامة الدينونة (يو ٥ : ٢٨)

انّ الآب لا يدين احدًا بل اعطى الحكم كلّهُ للابن (يو ٥ : ٢٢) = وحينئذ يشاهدون ابن البشر آتيًا على سحابة بقوّة وجلال عظيمين الخ (لو ٢١ : ٢٧) = انّا نجيء سنقف امام منبر المسيح (رو ١٤ : ١٠)

ستقوم أمّة على امة ومملكة على مملكة وتكون زلازل شديدة . . . وأوبئة وجاعات وتكون من السماء مخاوف وعلامات عظيمة الخ (لو ٢١ — ١٠ — ١١)

اعمال الرسل (عم)

اجاب الرسل وبطرس وقالوا انّ الله أحقّ من الناس بأن يُطاع (عم ٥ : ٢٩)

رسائل القديس بولس

اعلموا وافهموا انهُ ليس الزاني او النجس او البخيل الذي انّما هو عابد وثن ميراثٌ في ملكوت السماوات (افسس ٥ : ٥) = اما تعلمون انّ الأثمة لا يرثون ملكوت الله (١ كور ٦ : ٩)

انّهُ بالقلب يؤمن الانسان للبرّ ويعترف للخلاص (رو ١٠ : ١٠)

أُوتيتُ مفاتيح كلّ شيء الّا الخمس انّ الله عنده علم الساعة . . (جس ١٤٤) = يسألك الناس عن الساعة قُل انّما علمُها عند الله وما يدريك لعلّ الساعة تكون قريبًا (سورة الاحزاب ٣٣ : ٦٣)

انّ الساعة آتية لا ريب فيها وانّ الله يبعث من في القبور . . . الملكُ يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنّات النعيم والذين كفروا . . . فأولئك لهم عذاب مهين (سورة الحجّ ٧ و ٥٥)

ليهبطنّ عيسى بن مريم حَكَمًا وإمامًا مُقسطًا (جس ٣٨٢) = كيف انتم اذا نزل ابنُ مريم فيكم وإمامكم منكم (جس ٣٢٦) = ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق (؟ جس ٤٦٨)

في صحيح البخاري (٣ : ٢١) : لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج . . .

الحديث

طاعة الامام حقٌ ما لم يأمر بمعصية الله (جس ٢٦٨) = مَن امركم من الولاة بمعصية الله فلا تطيعوهُ (جس ٤١٦) = لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (من ١٨٤)

الحديث

انّ الجنّة لا تحلّ لعاصٍ (من ٢٦) = لا يدخل الجنّة لا خبٌّ ولا خائن ولا منّان (جس ٤٦٦)

الايمان اقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالاركان (جس ١٦٣) = الايمان معرفة

بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان (من ٥٥)

كل انسان كاذب (رو ٣ : ٤) وكذلك في المزامير (١١٥ : ١١) . وفي الجامعة (٧ : ٢١) : ليس من صدّيق على الارض يصنع الخير بغير ان يخطأ

كلّ ابن آدم خطّاء (جس ١١٤)

روّض نفسك على التقوى . . . ان التقوى تنفع في كلّ شيء ولها موعد الحياة الحاضرة والمستقبلة (١ تيم ٤ : ٧-٨)

عليك بتقوى الله فانها جماع كلّ خير (جس ٢٨٠ من ٩٨) = اوصيك بتقوى الله فانّهُ رأس كلّ شيء (جس ١٤٥)

لتخضع كلّ نفس للسلاطين العالية . . فمن يُقاوم السلطان يعاند ترتيب الله (رو ١٣ : ٢)

السلطان ظل الله في الارض فمن أكرمهُ اكرمهُ الله ومن اهانهُ اهانهُ الله (جس ٢٤٧)

ما لم ترَهُ عين ولا سمعت به أُذن ولا خطر على قلب بشر ما اعدّهُ الله للذين يحبونهُ (١ كور ٢ : ٩)

انّ في الجنّة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد (جس ٢٠٠) = قال الله تعالى اعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الخ (جس ٢٠٥)

ان بشّرناكم نحن او ملاك من السماء بخلاف ما بشّرناكم به فليكن مبغضا (غلا ١ : ٨)

لو نزل موسى فاتّبعتموهُ وتركتموني لضللتم (جس ٢٧١)

ذكر (في ١ كور ١١ : ٢٣-٣٠) اكرام الربّ للخبز اذ كرّسهُ وجعلهُ قربانًا

أكرموا الخبز فانّ الله أكرمهُ فمن أكرم الخبز اكرمهُ الله = اكرموا الخبز فانّ الله انزلهُ من بركات السماء واخرجهُ من بركات الارض (جس ٧٢)

هو (الله) يرحم من يشاء ويقسي من يشاء (رو ٩ : ١٨)

يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء (سورة المدثر ٣٤)

الدي يأكل فللربّ يأكل لانهُ يشكر الله والذي لا يأكل فللربّ لا يأكل ويشكر الله (رو ١٤ : ٦)

الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر = الطاعم الشاكر لهُ مثل اجر الصائم الصابر (جس ٢٧١)

إعرضْ عن الكلام العاليّ الملتبس بالبدَع . . . الدي انتحلهُ قوم فزاغوا عن الايمان (١ تيم ٦ : ٢٠-٢١) = رَجُل البدعة أعرضْ عنهُ (تيطس ٣ : ١٠)

ايّاكم ومحدثات الامور فانّ كلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلال (ارشاد الطالبين ص٨)

لا بدّ ان يظهر انسان الخطيئة ابن الهلاك . . ويُري من نفسهِ انهُ هو الله . . . فيهلكهُ الربّ يسوع بنفس فمهِ (تس٢ : ٣-٨)

لم يسلط على الدجّال الّا عيسى بن مريم (جس ٢٦٥) = ليقتلنّ ابنُ مريم الدجّالَ بباب لدّ (جس ٢٨١)

رسائل يعقوب الرسول (يع)	الحديث
الايمان ان كان بغير اعمال فهو ميت في ذاته (يع ٢ : ١٥ و ١٦)	الايمان قول وعمل (جس ٥٦) = الايمان والعمل اخوان . . . لا يقبل الله احدهما الا مع صاحبه (جس ١٦٣)
اللسان نار وعالم من الاثم . . . هو شر لا يضبط تملؤه سما قتالاً (يع ٣ : ٦ – ٨) = ان كان احد لا يزل في الكلام فهو رجل كامل (يع ٣ : ٢)	اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما = اكثر خطايا ابن آدم في لسانه (جس ٧) = احب الاعمال الى الله حفظ اللسان (جس ١٥ من ٦)
ان محبة العالم عداوة لله فمن آثر ان يكون حبيباً العالم فقد صار عدوا لله (يع ٤ : ٤) – حب المال اصل كل شر ١ تيم ٦ : ١٠)	حب الدنيا رأس كل خطيئة (جس ١٩٣ : من ٦٨)
صلاة الايمان تخلص المريض والرب ينهضه (يع ٥ : ١٥)	ثم فصل ان في الصلاة شفاء (جس ١١٠)

رسائل بطرس الرسول (بط)	الحديث
في ايام نوح بني التابوت الذي خلص فيه نفر قليل (بط ٣ : ٢٠)	ان مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك (جس ١٢٧ و ٤٠٢)
اكرموا الملك . . احضروا لسادتكم (١ بط ٢ : ١٧–١٨)	بجلوا المشايخ (من ٥٦)

رسائل يوحنا الرسول (يو)	الحديث
نحن ابناء الله . . . نعلم انه اذا ظهر . . سنكون كما هو (١ يو ٣ : ٢)	انكم ستعرضون ربكم يوم القيامة عيانا (من ٤٥)
لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق (١ يو ٣ : ٨) = وفي الخبر (١٧ : ٢٢) : من احبني يحفظ كلمتي	من احب الله حفظ وصيته – قال الشاعر: اذا ندبوا القول قالوا فأحسنوا ولكن تحسن القول خالفه العمل
من يعمل الخطيئة فهو من ابليس . . . ولهذا ظهر ابن الله لينقض اعمال ابليس (١ يو ٣ : ٨)	كل بني آدم يطعنه الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعنه فطعن في الحجاب (جس ٢١٩)

كتاب رؤيا يوحنّا الرسول	الحديث
اني كلّ من أحبّهُ اوبّخهُ واؤدّبهُ (رؤيا ٣ : ١٩) ومثلهُ في الرسالة الى العبرانيين (١٢ : ٦) وفي سفر الامثال (٣ : ١٢) انّ الذي يحبّهُ الربّ يؤدّبهُ	اذا احبّ الله عبدًا ابتلاهُ (جس ٢٣) اذا اراد الله بقوم خيرًا ابتلاهم (من ٨) = انّ عظم الجزاء مع عظم البلاء وانّ الله اذا احبّ قومًا ابتلاهم (جس ١١٩ :
طوبى للاموات الذين يموتون في الربّ . . . لأن اعمالهم تابعة لهم (رؤيا ١٤ : ١٣)	انّ ممّا يلحق المؤمن من عمله وحسناته من بعد موته علمًا نشرهُ وولدًا صالحًا تركهُ . . وحياتهُ تلحقهُ من بعد موته (جس ٢١٥)
(السماء) لا يدخلها شيء نجس ولا فاعل الرجس (رؤيا ٢١ : ٢٦)	تنظّفوا فانهُ لا يدخل الجنّة الّا نظيف (جس ١٠٣ و ١٦٣)
انا الاوّل والآخر كنتُ ميتًا وها انا حيّ . . . ولي مفاتيح الموت والجحيم (رؤيا ١ : ١٨) = انا الألف والياء البداءة والنهاية (١ : ٨)	اذا بعثتُ فاتحًا وخاتمًا (جس ١٣٤) = أعطيتُ فواتح الكلام وجوامعهُ وخواتمهُ (جس ٦١) = كنتُ اوّل الناس في الخَلْق وآخرهم في البعث (من ١١٥) : اني أعطيتُ مفاتيح خزائن الارض (بخاري ٢ : ٨٦)

حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعيّ للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

بنو الرشيد

اول امر بني الرشيد — الامير عبد الله جد رشيد

كان بين عرب الجانل بيت شريف يعرف برشيد ينتمي الى عشيرة عبدة من قبائل جبل شمّر . وقد نما منهم فرع كريم يدعى عبدالله كان اوّلًا في حاشية الامراء الوهابيين من آل سعود فارسلوهُ كاحد عمّالهم الى الحائل وكان عبدالله ابيّ النفس ذا ثروة واسعة ونفوذ فلمّا رأى ما حلّ بوطنهِ من الظلم عزم على تحريره من ربقة بني عليّ بمساعدة اخيهِ عُبيد

فدعا الناس الى نفسه ولما احتشدوا حوله أعلن الحرب على بني علي وغلبهم ونفاهم من مدينة الحائل فالتجأوا الى مدينة كفر وكان اهلها استمروا على طاعتهم فنهضوا بهم الى محاربة عبدالله بن رشيد الذي خانته الاقدار وجُرح في المعركة فاعتنى بامره بعض اصحاب الفضل حتى شفي ولحق بامير رياض تركي بن عبدالله بن سعود سنة ١٨٣٠ فسُرّ به الامير لما كان يعرفه من شهامة نفسه فجعله قائداً لجيوشه مع ابنه الامير فيصل ولي عهده وارسلهما لفتح بلاد الاحساء وانقاذها من يد المصريين

فلما ابتعدا قام على الامير تركي ابن عمه مشاري فقتله كما سبق في اخبار الوهابيين وجلس مكانه على كرسي الامارة . فلما بلغ الخبر الى الامير فيصل وهو يحاصر مدينة حفوف اشار اليه عبد الله بن رشيد بان يرجع الى رياض بكل سرعة قبل ان يستفحل الشر ويشمل الخرق . فرجعا بجنودهما واصلين السير بالسُرى ودخلا رياض قبل ان يتمكن مشاري من تحصينها فالتجأ الى قصرها وهو اشبه بحصن حصين فلم يزل عبدالله يحتال عليه حتى دخل ليلاً الى مقصورته وقطع رأسه بعد نزاع شديد وسلّم القصر لسيده الامير فيصل فدانت له الزمنة

امارة عبد الله بن رشيد على الحائل

عرف الامير فيصل لعبد الله بن رشيد حسن خدمته فقلّده امارة الحائل وجبل شمّر فسار بالجند وتتبع بني علي هو واخوه عبيد فقطعا دابرهم واباحا دمارهم وضبط عبدالله دفّة التدبير وجاهر بالمذهب الوهابي ليرضي اميرهم فيصلاً وكان وعد بان يؤدي له الجزية فقام بوعده

لكنّه تخوّف لملكه من دسائس انصار بني علي فجعل يسعى بمصادرتهم واستصفاء اموالهم ونفيهم وقتل اعيانهم فتواترت عليه المؤامرات وكثرت المكايد فخطر على باله ان يصون نفسه من شر اعدائه ببناء قصر عظيم يجمع بين الفخامة والمناعة فجدّ بتشييده وما كاد ينجزه إذ مات فجأةً سنة ١٨٧٣ . وكان خلّف ثلثة اولاد تلالا ومُتعباً ومحمداً وكان تلال اكبرهم وهو ولي عهده لا يتجاوز عمره عشرين سنةً فخلف اباه اما عبيد اخو عبدالله وعم تلال فانّه عُمر طويلاً فمات سنة ١٨٧١ وكان شرس الاخلاق فلقب بالذئب وسيأتي ذكر ابنه حمود

امارة تلال بن عبد الله بن رشيد

لما تولى الامر تلال بن عبدالله كان نجمُ الوهابيين مـائلًا الى الافول فحاول الاستقلال تدريجاً . واول ما طمح اليهِ بالنظر التملُّك على اقليم الجوف المجاور لجبل شمّر فجهّز لاخذهِ متعب جيشاً ففتحهُ وضمّهُ الى املاك بني رشيد

وكذلك وجّه عنهُ عبيدًا مع سريّة الى بلاد القصيم فانتزعها من حكم الوهابيين . وسار تلال بنفسهِ الى تيما. ففتحها ثمَّ سعى بتأمين الطرق من غزوات العربان وسهّل بذلك المتاجرات مع الحائل

فكل هذه المآثر نبّهت الامير فيصلًا الى نوايا بني رشيد ففهم انهُ اضرَّ نفسهُ بنفسهِ لما اطلق يد عبدالله بن رشيد على جبل شمّر ولكن لات حين ندم . فالزم الاميرَ الوهابي غضّ النظر وصبر على احكام الدهر . وكان تلال اذا سمع شكوى ابن سعود يبدي نفسهُ عندهُ من كلّ سوء نيّة ويكرّر له عبارات الخضوع ويؤلف قلبهُ بالالطاف والهدايا . وجرى على هذا المنوال مع الحكومة العثمانيّة فكان يداري عمّالهـا ويذكر في صلاة الجمعة سلطانها حذرًا من تهييج غضب تلك الدولة وبلادهُ متاخمة لاملاكها فاتقى بذلك شرّها

وقد دامت ولاية تلال على جبل شمّر ٢٤ سنة (١٨٤٣—١٨٦٧) وفي عهده كانت رحلة الاب ميشال كرهن بلغراف الى نجد وقد اتّسع في ذكر اوصافهِ لكنّ هذا الامير في آخر عمرهِ عُني بشعورهِ فجنّ ومات منتحرًا (١٨٦٧ م) وقد خلّف عدّة اولاد كان بندر اكبرهم سنًّا لا يتجاوز عمرهُ ١٧ سنة

متعب بن عبد الله

هو اخو تلال اتّفق اهل جبل شمّر على اختيارهِ كاميرٍ عليهم لعلمهم بحكمتهِ وعدلهِ وجودة اخلاقهِ فسار في سياستهم سيرًا مشكورًا واتمَّ ما بقي من تحصين الحائل وتوسيع نطاق معاملاتها مع البلاد المجاورة . لكن الموت عاجلهُ فقطع فجأة حبل حياتهِ ثلاثة اعوام من امارتهِ (١٨٦٧—١٨٧٠)

بندر بن طلال — محمد بن عبد الله

لما مات متعب كان اخوهُ محمّد غائباً في رياض عند ابن سعود فتعاهد الجميع على تولية بندر بن طلال وقد بلغ اذ ذاك عمرهُ عشرين سنة وهو متصف بأوصاف والده من مروءة وشهامة ومحبّة خالصة لاهل وطنه . فلمّا عاد محمّد الى الحائل وعلم بما جرى اتقد غضباً واظهر البغض لابن اخيه واضمر لهُ الشر هو ومحمدُ ابن عمه عبيد حتى مكنتهُ الفرصة من ابراز دفين حقده فوثب على الامير بندر وقتله ثمّ انفتل راجعاً الى القصر حيث كانت اخوة بندر الصغار فقطع رؤوسهم ورماهم في ساحة الدار وارسل يستدعي ابناء اخوته واعمامه وغدر بهم واهدر دماءهم . ولم يفلت من هذه المذابح سوى بدر ونائف اخوي بندر وكانا غائبين من الحائل وكلاهما غضّ الشباب . ولما كبر بدر وعوّل على الانتقام من عمه طلباً بدم اخيه سبقهُ محمّد وامر بقتله ثمّ استدعى اخاهُ نائفاً واقامهُ في قصره يراقب حركاته وسكناته

تربّع محمّد على سدّة الامارة لا يخشى معاكساً لكنّ دم اقاربه المسفوك سود الدنيا في وجههِ فلم يتهنّأ بمنصبه الذي نالهُ بالاثم . وكانهُ اراد ان يكفّر عن ذنوبه باستقامة سلوكه مع اهل وطنه وحسن معاملته لهم فاهتمّ بتنظيم الجيش وتحصين الثغور وبسط الامان في كلّ الانحاء ونهى القبائل عن الغزوات وتشدّد على السارقين حتّى انهُ كان يأمر بقطع يد بل رأس من يسرق رغيفاً من الخبز

وفي ايّامه وقعت رحلة السيّدة الانكليزيّة انّا بلونت (Anna Blunt) التي اتّسعت في وصف حسناته وبيان نظام دولته ورونق حياته وكرمه

وكان الامير محمّد واقفاً بالمرصد للشيوخ المتاخمين لنجد لئلا يلحقوا بلاده بأذًى وكان اذا رآهم يتجاوزون حدودهم يغير عليهم ويفتك في خدمهم كما فعل سنة ١٨٨٠ اذ شنّ الغارة على محمّد بن دوخي بن سمير وكان ساعياً في بسط حكمه على قبائل شرقيّ نجد فسار الى محاربته وكسرهُ ثمّ تقدّم الى حوران وتهدّد نواحي دمشق حتّى خاف اهلها من دخوله الى عاصمتهم . ولما رأى ما صار اليه آل سعود من الشقاق استغرب الفرصة لتوسيع ملكه بضبط بلادهم . وكان

الامير عبدالله بن فيصل استنجد به لمحاربة اولاد اخيه محمّد وعبدالعزيز وسعدون اولاد سعود فزحف عليهم ابن الرشيد واخرجهم من رياض وحبسهم في حائل

وقد طالت امارة محمّد بن عبدالله وكانت وفاتهُ في سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) وهو يتجهّز لمحاربة مبارك بن الصباح صاحب الكويت ليفتح لهُ هناك منفذًا الى البحر بانشاء مرفإ على خليج العجم

امارة عبد العزيز بن متعب

قام الامير عبد العزيز بن متعب بن عبدالله الرشيد خلفاً لمحمّد بن عبدالله على امارة حائل وجبل شمّر ونجد . واوّل ما صرف اليهِ فكرهُ متابعة سياسة سلفهِ ومحاربة الشيخ مبارك صاحب الكويت فثارت الحرب بينهما وطالت بضع سنوات وكان الفائز فيها ابن الرشيد

لكن الشيخ مبـارك اغرى بابن الرشيد عبد العزيز بن السعود وكان عندهُ في الكويت فسار من الكويت الى نجد ودعا الوهابيين الموالين لاهلهِ فدخل معهم الى الرياض سنة ١٩٠١ ونشر عليها العلم الوهابي الابيض والاحمر وحارب عبدَ العزيز ابن الرشيد وكان صاحب الكويت يرسل اليهِ المدد نكايةً بابن الرشيد وكذلك الانكليز كانوا يعضدونهُ لمماكسة الاتراك والسياسة الالمانيّة في العراق . فانتصر ابن السعود من ابن الرشيد لكن الدولة العثمانيّة قامت لمساعدة ابن الرشيد ومنعت ابن السعود عن ان ينتفع من انتصارهِ

وفي السنة ١٩٠٧ مات عبد العزيز بن متعب قتلهُ احد الوهابيين من أنصار ابن سعود

حمود ابن رشيد

خلف ابن عمهِ في اياّر من السنة ١٩٠٧ وسار الى محاربة عبد العزيز بن السعود وبصحبتهِ فرقٌ من جند الاتراك فاحرز النصر وقهر ابن السعود

ثم اضطرّ الاتراك الى سحب عساكرهم من نجد فخافوا على حمود بن رشيد من حملة اعدائهِ عليهِ بايعاز الانكليز فسعى فيضي باشا باصلاح ذات البين ووصل بالهبات ابن السعود وابن الرشيد فتصالحا . فصرف ابن رشيد اذ ذاك همّتهُ الى ردّ عادية قبائل

العرب المتاخمين لنجد والعراق وقمع كلبهم فزادت مهابته في النفوس وشاع صيته في انحاء جزيرة العرب

الامير سعود باشا ابن الرشيد

مات حمود سنة ١٩١١ فخلفه سعود باشا ابن الرشيد كما ذكره الاديب سليمان افندي الدخيل صاحب جريدة الرياض. فقلدته الدولة العثمانية رتبة باشا فبقي مواليا للاتراك فحشد في السنة ١٩١٢ جيشاً يزيد على ٢٠,٠٠٠ جندي خدمة للدولة. وفي تلك السنة اوفد عبدالله بن حاسم الى بغداد كمعتمده عند واليها ثم ارسل وفداً الى الاستانة يطلب ان يقبل في مجلس الامة مبعوثان عن نجد وان تطلق له الحرية لتأديب العصاة من قبائل العرب وللمطالبة بحقوق ابناء سعدون باشا رئيس عشائر المنتفق وكان عجمي بن سعدون التجأ الى ابن رشيد فاجاره

وتحفز سعود باشا الى محاربة قبائل العرب وسار بفرسانه الى احيائهم فضرب اولاً الزولة ورجع غانماً الى الرياض ثم اغار على بني عُنيزة وسلب مواشيهم. وحارب المنتفق والضفير فكان الظفر معقوداً في لوائه واعاد لعجمي بن سعدون امرته على مواطنه

ولما انتشبت الحرب العمومية ودخلت الجيوش الانكليزية شمالي العراق اضرت بابن الرشيد موالاته للدولة العثمانية وسقطت هيبته بين العرب كما ذكر ذلك وزير انكلترا بلفور في خطبة ألقاها في مجلس العموم في اوائل سنة ١٩١٧ ولم نسمع شيئاً عنه بعد نهاية الحرب

(الهُ صلة)

اعظم طامّة في الحرب العامّة

نظر اجمالي في الحرب الاوربيّة الاخيرة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : الدول الاتفاقيّة (تابع)

٣ بريطانيا العظمى

هي الدولة الباسلة التي بعد فرنسة حملت اكثر من سواها وطأة الحرب العامّة وصبرت على شدائدها بروية وثبات عظيمين رجاء ان تحرّر الامم من ربقة التحكّم الجرمانيّ

في اواسط تموز من السنة ١٩١٤ ما كانت انكلترّة لتظنّ انّ الحرب على الباب . ومع استعدادها لها بحرًا لم تأخذ لها أهبتها برًا . ولعلّها بما ستزلهُ حربٌ عموميّة من الويلات على العالم اخذت تسعى غاية جهدها في ايقاف انتشابها لمّا شامت لواقحها المقلقة كما تدلُّ عليهِ البرقيّات التي نشرتها في كتابها الابيض المشتمل على مجموع المخابرات الرسميّة بين الدولة الانكليزيّة وبقيّة الدول

وكان القيصر الالماني يرجّح بقاء انكلترّة على الحياد لما بينهُ وبين ملكها من القرابة ولحرص الانكليز على تجارتهم التي توسع الحرب رقيها وتضمن لهم الارباح الطائلة بجمود حركة تجارة الدول المتحاربة . ولعلّ انكلترّة كانت تنّمت عن خوض غمراتها لولا انتهاك الالمان لحمى بلجكا لمّا تجاوزوا حدودها في ٢ آب ١٩١٤ دون مراعاة لعهود سابقة ارتبطت بها المانية كغيرها من الدول الكبرى بتوقيعها عليها . واذ ذكر سفير بريطانية الكنشليار بتمان هولوغ بتكث المانية لمعاهداتها بهذا العمل ولجّ عليها تحت طائلة الحرب بان تسحب جنودها من تخوم بلجكا كان جواب الكنشليار : « أيا ترى تعلن بريطانية الحرب علينا لاجل رقعة من الورق » . فاوغرت هذه الكلمة صدور الانكليز حنقًا على الالمان الذين ينقضون العهود الدوليّة المقدّسة ويتزلونها منزلة سفاسف الامور فحتّلهم اباء النفس الى اعلان الحرب على دولة لم ترعَ الحقوق

ولم تكترث للمواثيق وبلجكا باقتحامها تعرض سواحلها الشرقية للاخطار . وكان ذلك في ٤ آب فاستبشرت فرنسة وروسية بالظفر لانضمام بريطانية العظمى الى جانبها

على انّ انكلترة مع استنكاف اهلها من الحرب وبذل جهدهم في كبح جماحها علمت ايضاً انّ لها في القصاص حياةً وانّ الحرب هذه اذا حسنت عقباها سوف تكسر شوكة الالمان وتضعضع اركانهم وتزيل من طريقها عدوًّا كادت تيأس من مزاحمته في تجارتها وصناعتها . ومن ثمّ آلت على نفسها ان لا ترتدّ ناكصةً او تعود بالفوز التامّ . وهذا ما حدا بها الى معاهدة فرنسة والدول المحالفة بان لا تنفرد واحدة منها بمصالحة المانية حتّى تضع الحرب اوزارها

وفي غد اعلان بريطانية للحرب اخذت تنقل الجنود والذخائر الى فرنسة ولم يتمّ ذلك الّا بعدّة عشرة ايّام . وكان عدد الجيش المنقول لا يزيد على ٨٠,٠٠٠ تحت قيادة الجنرال فرنش فسخر القيصر الالماني من تلك القوات الزهيدة ونعت الجيش الانكليزي « بجيش ذليل حقير يستهان به »

والحقّ يقال انّ انكلترة خاضت معامع الحرب وليس لديها ما يقوم بحاجيات جنودها مع قلّتهم ومع وفرة معامل صناعتها . كانت معامل اسلحتها قليلة حتّى مرّت عليها الاشهر بل قريب من السنتين قبل أن تتمكّن من تعبية كلّ جيوشها من المستعمرات البعيدة وتجهيز المحاربين بما يلزمهم من السلاح حتّى اناف عددهم سنة ١٩١٦ على اربعة ملايين من الرجال . وقد كان في ذلك فضلٌ كبير لوزير حربيتها اللورد كتشنر الذي كان احدى ضحايا هذه الحرب العامة

انضمّت الجيوش الانكليزية الى الفرنسويين والبلجكيين وهم يسعون في ردّ غارات الالمان لمّا زحفوا بمليون ونيّف من الجنود على ثغور بلجكا ومقاطعات فرنسة الشمالية . لكنّ هذا السدّ لم يقوَ على ذلك السيل الجحاف فنال الالمان بوفرة عَدَدهم وعُدَدهم الفوز من الاتفاقيين في شرّ اوا وموبوج واضطرّوهم الى الرجوع القهقرى . وكذلك الانكليز خافوا من ان يأخذهم الالمان بخناقهم في مونس فكرّوا راجعين الى الوراء في العشر الاخير من آب ١٩١٤

لكنّ الاحوال ما لبثت ان تطوّرت طوراً آخر بهمّة اركان الحرب الفرنسويين .

وقاسم الانكليزُ اخوتهم الفرنسويين في انتصارهم الباهر في ٦ ايلول تحت قيادة الجنرال فرنشه دِسپاري عند نهر الاورك (Ourcq) ثم قطعوا نهر المارن في ٩ منهُ تحت امرة الجنرال مونوري فتعقَّبوا جيش الجنرالين الالمانيين فون كلوك وفون بولوف فبدَّدوا شملهم واحرزوا لهم فخرًا انساهم خزْيهم السابق . وكذلك اخذ الانكليز نصيبهم من المجد في معارك الايزر ومواقع ايپر ولاسيَّما في فلندرة حيث قامت الحرب على ساقٍ فأبلى الانكليز بلاءً حسنًا

وكان ارباب الامر في اثناء ذلك يفرغون كنانة النشاط في سدّ ما ظهر لهم من الخلل العظيم من جهة الذخائر الحربيَّة واستحضار الجنود من الاملاك الانكليزيَّة الواسعة وجمع المتطوّعين فأقاموا منهم جيشًا جرّارًا عُرف بجيش كتشنر لسعيهِ بتنظيمهِ ووكلوا الى المرشال دوغلاس هَيْغ القيادة العامّة على كلّ جيوشها . ولم تكتفِ انكلترَّة بذلك بل خطت خطوةً كبيرة رغمًا عن تقاليدها القديمة اذ فرضت التجنيد الاجباري على كلّ رعاياها فكانت نتيجة عملها يقين حلفائها بالظفر النهائي

على ان اعتماد الدول المحالفة لانكلترَّة ومعوّلها الاعظم انَّما كان على قوَّات بريطانية البحريَّة والكلّ يقرُّون بانَّ لها السيادة في البحر . ومع انَّ هذه الحرب كانت برّيَّة اكثر منها بحريَّة وان المنتظر ان تكون الضربة القاضية فيها على العدوّ في البرّ لا في البحر كما صرَّح بهِ المرشال جوفر الَّا ان البحر ايضًا اضحى في وقتهِ ساحةً للمعارك وحمي فيهِ غير مرَّة وطيس الحرب . فما كانت انكلترَّة لتخيّب آمال حلفائها فيها

وما كادت تُعلن بالحرب على الدول المركزيَّة حتَّى بثَّت اساطيلها في البحار لضبط كلّ السفن التجاريَّة الالمانيَّة الراسية في سواحل العالمين ثمَّ تتبَّعت مع السفن الحربيَّة الفرنسويَّة بوارج الالمان وطرَّاداتهم وكشَّافاتهم البعيدة عن المانية المتجوّلة في الاوقيانوس الاتلنتيكي والاوقيانوس الهادي وبحار الصين والهند . فناجزتها القتال ودمَّرتها غير مبالية بما اصيب من سفنها من الاضرار بقنابل العدوّ ومدافعهِ الضخمة والالغام البحريَّة . فلم يمرّ عليها بضعة اشهر حتَّى نظَّفت تلك البحار من السفن الحربيَّة المعادية . ولم يبقَ للالمان سوى اسطولهم المتروي في بحر البلتيك

ومن الخدم التي ادَّتها بريطانية لحلفائها مع تنظيف البحار من سفن الاعداء

انّها سوّلت للاتفاقيين فتح المستعمرات الالمانيّة فوضعوا يدهم على املاك المانية كلّها خارجاً عن اوربّة اعني في افريقية الجنوبيّة الشرقيّة واميركة واوقيانية والصين. ففقدت المانية في عشرين شهرًا ما كانت اجهدت نفسها في الحصول عليه بكل الوسائل منذ نحو ثلثين سنة بعد تصريح بسمرك انّ المانية لا صالح لها في الاستعمار. وكانت مساحة هذه المستعمرات بالغة نحو اربعة ملايين من الكيلومترات المربّعة

وفي ٤ ت ٢ ١٩١٤ اعلنت بريطانية مع حليفاتها الحرب على تركيّة لما خالفت به الدولة العثمانية قوانين الحياد وأتته من الاعمال المعادية اذ حمت في البوسفور البارجتين غيبن وبرسلو وألقت الامتيازات الاجنبيّة وضربت بعض المراكب الفرنسويّة والروسيّة واطلقت المدافع على مدن القريم في البحر الاسود. فاسرعت بريطانية وارسلت بعثةً الى البصرة واستولت عليها في ٢١ ت ٢ وقطعت سريّةٌ هنديّة نهر دجلة فاحتلّت كُنة. وفي خريف تلك السنة جرت اوّل معركة بحريّة دارت بين الانكليز والالمان انتصر فيها الانكليز على اعدائهم في جنوبي اميركا قريباً من بلاد شلي وفي ارخبيل فلكلند حيث طاردت السفن الانكليزيّة طرّادات الالمان المحميّة ومدمّراتهم وبوارجهم فدمّرتها. فأحبّ الالمان تشفّياً ان يضربوا انكلترة في قلبها فوجّهوا اسطولاً هوائيًا الى لندن ليطلقوا عليها قذائفهم في ٥ كانون الثاني ١٩١٥ فقتلوا بعض اهلها دون عظيم فائدة

وفي اوائل تلك السنة ١٩١٥ اتّفق الانكليز مع الفرنسويين على فتح مضيق الدردنيل وهم لا يجهلون ما يحول دون ذلك من العقبات لكنّهم ظنّوا انّ قوّة بوارجهم وشهامة جنودهم كافية لتقوى على كلّ الموانع حتى اذا جازوا ذلك المأزق سهل عليهم فتح الاستانة ونهجوا طريقاً للسفن المسكوبيّة لتخرج من البحر الاسود فتغني بغلّات روسيّة بلادَ الحلفاء.

وكان تدبير هذه الحملة قد عُهد به الى الانكليز. الا انّ اصحاب الامر بينهم خُدعوا في حسابهم ولم يعدّوا لهذه البغتة ما تقتضيه من القوى والعُدَد الحربيّة فضلاً عن كونهم جهلوا كثيراً من الاستحكامات الحديثة التي حصّن بها الاتراك والالمان ذاك المضيق الحرج وخصّوا بالدفاع عنه نحو مائتي ألف من اقوى جنودهم المحنّكة على كلّ آداب الحرب

فبدأ المتحالفون بانزال الجنود الى البرّ : الانكليز في سدّ البحر من جزيرة غاليبولي والفرنسويون في قوم قلعه في برّ آسية في ٢٤ نيسان ١٩١٥ ثمّ هاجموا الاتراك بينما كانت السُّفن تطلق على استحكاماتهم المدافع وحاولت بعض البوارج النفوذ في المضيق وتكرّرت هذه الاعمال طول تلك السنة فاظهر الانكليز ولاسيّما جنود استرالية والفرنسويون ما جُبلوا عليهِ من الباس ورباطة الجأش والاستهانة بكل الاخطار وربّما تقدّموا الى الامام وكبّدوا العدوّ الخسائر الفادحة حتّى بلغ عدد جرحى الاتراك في اواسط ايّار ٣٠,٠٠٠ جريح لكنّ نجاحهم كان بطيئاً . ولم يثبط عزيمة الاتراك الذين دافعوا عن المضيق دفاع الكماة واوقعوا باعدائهم واتلفوا لهم عدّة مراكب حربيّة من جملتها الدارعتان الانكليزيّتان ماجستك وتريُومف اللتان اغرقتهما غوّاصات المانيّة . ثمّ احتاج الانكليز الى جيوشهم في ساحات أُخرى فرأوا انّ محاربة الدردنيل لا تتمّ بسهولة فسحبوا جنودهم من هناك وقد بيّن قائدهم يان هملتون انّ الجيش البريطاني استحقّ كلّ ثناء في تلك الحملة لولا حَرَج المقام ومناعة الموقع . ومثلهُ فعل الفرنسويُون الذين ابلوا احسن بلاء تحت قيادة الجنرالين داماد ثم غورو وهناك أُصيب هذا البطل الاخير بقنبلة لا تزال آثارها المجيدة فيهِ فحفظهُ الله خير بلادنا . وكانت نهاية هذه الحملة المشئومة في اوائل سنة ١٩١٦ بعد نحو تسعة اشهر

وتضاعف ألم الانكليز بما مُني بهِ جيشهم في العراق . فانّهم كانوا عوّلوا على فتح بغداد في اوائل سنة ١٩١٦ ودخلوا كوت الامارة جنوبيّ بغداد تحت قيادة الجنرال طَوْنسهند . لكنّ الاتراك مع ضبّاط الالمان تمكّنوا من محاصرتهم وقطع المؤنة عنهم حتّى اضطرُّوا بعد ١٤٣ يوماً الى التسليم في ٢٨ نيسان ١٩١٦ — وفي تلك الاثناء حصلت عدّة فتن في ارلندة لم تستطع انكلترّة ان تقمعها الّا بالقوّة مع الوعد بانها تمنح ارلندة الاستقلال النوعي

على انّ بريطانية أبت الّا ان تأخذ ثارها بعد حين من المانية عدوّها الازرق . فان اساطيلها كانت واقفةً بالمرصاد للاساطيل الالمانيّة المحصورة في البحر الشمالي . ففي ٣١ آب جرت المعركة الكبرى المعروفة بمعركة جوتلند من اعمال دنيمرك في سواحلها الغربيّة . اذ التقى الاميرال بيتي بالمدرّعات الالمانيّة الكبرى فسار الى محاربتها دون انتظار الاسطول الاعظم فاغرق بعض الطرّادات الالمانيّة لكنّهُ فقد

ايضاً بعض دوارعه. وكانت البوارج الالمانيّة خرجت لمساعدة اسطول مدرّعاتها فاغرقت ثلاث بوارج انكليزيّة . واصبح الاسطول الانكليزي في خطر لولا انّ الاميرال جليكو سار بكل سرعة لعضده فانتشب القتال مدّة بين الاسطولين الى أن ولّى العدوّ هارباً تحت حجاب ضباب كثيف كان ابتدأ على تلك الجهات . وقد دامت هذه المعركة عشرين ساعةً فُقد فيها بالتدمير والغرق والتعطيل ٣٦ سفينة بين بوارج دردنوط وطرّادات ومدمرات كان معظمها للالمان لكنّ الاسطول الانكليزي لحقهُ ايضاً خسارات تذكر حتّى ان الالمان نسبوا الظفر لاسطولهم فقد البوارج الكبيرة كوين ماري واندفكتبل وانفنسبل مع اربع دوارع وبعض المدمّرات وكان بين الغرقى اميران البحر هود واربثنوت

وبعد ذلك بخمسة ايّام فُجعت انكلترّة بموت وزير حربيّتها اللورد كتشنر وكان ركب الدارعة همپشير قاصداً روسيّة لتنظيم شؤونها فاصابت الدارعة لغماً فغاصت ببضع دقائق وغرق كلّ من فيها (٦ حزيران ١٩١٦)

*

وفي اواخر هذه السنة عينها جرت حملة الاتراك والالمان على ترعة سويس ومصر. وكلٌّ يذكر ما كان جمال باشا وقومهُ يتفاءلون من تلك الحملة كأنهم لا يشكّون بعقباها فكانوا يدعون اصحابهم الى حضور افراح الانتصار القريب في مصر. وكان الاتراك مع حلفائهم الالمان والنمسويين حاولوا منذ السنة ١٩١٥ الاستيلاء على ترعة سويس فلم يفلحوا فعادوا اليها في الصيف السنة ١٩١٦ بجيش عدده ١٨,٠٠٠ جندي لكنّ الانكليز ردّوهم خائبين في رمّانة على مسافة ٥٠ كيلومترًا من الترعة قريباً من البحر المتوسّط واسروا منهم ٣,٩٠٠ اسير في ٤ آب ١٩١٦ ثم دخلوا العريش في ١٢ ك ١ بعد ان طردوا منها الاتراك . ثمّ اخذوا يتقدّمون الى الامام الى جهات بئر سبع فغلبوا الجنود العثمانيّة مرّة اولى بين رفح وبئر سبع في ٦ آذار ١٩١٧ ثمّ تعقّبوهم مع مساعدة الطيّارات الهوائيّة والمهاربين ونكّبوهم نكاية عظيمة في ٢٦ و٢٧ آذار واسروا منهم ٩,٠٠٠ نفر بينهم فريق الالاي الثالث والخمسين مع كلّ اركان حربه . وكان انتصارهم هذا فاتحة دخولهم الى فلسطين. وتمّ لهم ذلك تحت قيادة السر ارشلد مرّاي (Murray A.)

في خريف تلك السنة عاد الانكليز بقوى جديدة وناجزوا الاتراك القتال مرارًا تحت قيادة الجنرال أَللَنبي فاستولوا في ٣١ تشرين الاوّل على بئرسبع وضبطوا استحكاماتها وخنادقها ثمّ تقدّموا في تشرين الثاني الى مدينة الخليل حبرون فدخلوها في ٧ منهُ ثمّ استولوا في ١٦ على رملة والسكّة الحديدية التي كان الاتراك قلعوا قسمًا من اسلاكها لينقلوها الى سكّتهم بين القدس وبئرسبع . وفي ١٧ تشرين الثاني تمّ دخولهم في يافا واستعدّوا لفتح القدس الشريف فاستداروا حولها وتمكّنوا من ضبط التحصينات المعدّة على الأكمات المشرفة عليها وكادوا يقطعون كلّ طريق على الاتراك لولا انّهم اسرعوا وخرجوا من المدينة فدخلها الانكليز ظافرين دون ان يلقوا عليها قنبلة واحدة وذلك في ظهيرة اليوم الحادي عشر من كانون الاوّل سنة ١٩١٧ فاستبشر العالم النصرانيّ بهذا الفوز البهيج ورجوع القدس الشريف الى ايدي النصارى بعد ٧٣٠ سنة . وعمّ الفرح اهل المدينة دون اختلاف الاديان لنجاتهم من نير الاتراك

ولم ينسَ الانكليز فشلَ جنودهم في كوت الامارة في اواخر نيسان . ومن ثمّ استعدّوا لاستئناف العمل واصلاح الخلل . فندبوا لذلك احد كبار قوّادهم السير پرسي مُود وعهدوا اليهِ فتح بغداد فأسرع وجمع قواهُ واعدَّ بوفرة كلَّ لوازم الحملة من ذخائر حربيّة ومؤونة للعسكر وعلف للدوابّ . وفي العشر الاوّل من كانون الثاني سنة ١٩١٧ زحف بخيلهِ ورجلهِ الى محاربة الاتراك في شطّ العرب فدحرهم وفتح عنوة كوت الحيّ في ١١ ك ٢ ثمّ تقدّم الى جهة الغرب فكانت الفرق الانكليزيّة تناوش الجيوش التركيّة القتالَ فتضطرُّهم الى الهزيمة امامهم بينما كانت الطيّارات الجويّة تُلقي عليهم وعلى سفنهم القذائف المهلكة حتّى بلغوا كوت الامارة ففتحوها عنوةً في ٢٤ شباط واخذوا للاتراك ٧,٠٠٠ اسير و٣٦ مدفعاً وثلاث مدفعيّات . ثم جازوا عزيزيّة في ٢٧ منهُ وساروا الى بغداد بسرعة عجيبة رغمًا عن توقّد حرارة الجوّ فتعرّض لهم الاتراك وسعوا بسدّ الطريق في وجوههم مرارًا فذهب سعيهم ادراج الرياح ودخلت الجيوش البريطانيّة مدينة الخلفاء في صباح ١١ آذار ١٩١٧ وبدخولهم خيّبوا كلّ آمال القيصر الالماني المبنيّة على سكّة حديد بغداد التي نوى منها مدّ سيطرتهِ على الشرق وفتح عضد انكلترّة في بحر العجم والهند

ولم يجتزئ الانكليز بفتح حاضرة بغداد بل تقدّمت جيوشهم الى الغرب وضبطت

السكّة الحديديّة الممتدّة بين دار السلام وسامرّا حتّى بلغت تكريت واحتلّتها مدّة ثم برحتها . ولمّا أُعلن بالهدنة عادت فمدّت سيطرتها عليها وعلى الموصل وجوارها

ومِمّا يُنسب الى مساعي انكلترّة أنها اثارت عرب الحجاز على الاتراك وحلفائهم . فانّها منذ اوائل السنة ١٩١٦ جعلت تسوّل للامير حسين شريف مكّة شقّ عصا الاتراك واطمعتهُ بالاستقلال والتملّك على الحجاز مع بسط حمايتهِ على ارباب جزيرة العرب . فراق الامر في عينهِ واخذ الى الدول الاتّفاقيّة واعلن بنفسهِ ملكاً على الحجاز وبعث قومهُ لمحاربة الاتراك فساروا الى ينبع وجدّة والطائف فالحقوها بملكهِ . وكان ابنهُ الامير فيصل عاضداً للاتّفاقيين في مطاردة اعدائهم ومعهم دخل دمشق في اوائل تشرين الاوّل سنة ١٩١٨ بعد دحر المتحالفين

*

وفي السنة ١٩١٧ احسّ الالمان بحرَج موقفهم وتأكّدوا انّهُ لا نجاة لهم من ايدي خصومهم ما لم يضطرّوا دول الاتّفاق الى قبول شروط السلم التي عرضوها عليهم دون جدوى فرأوا انّ اقرب واسطة لذلك انّما هي حربُ الغوّاصات التي كانت الحقت اضراراً لا تُحصى بالاتّفاقيين عموماً وبالانكليز خصوصاً الذين وحدهم فقدوا من السفن ما يساوي تفريغهُ ٣,٠٠٠,٠٠٠ طن من اوّل آب ١٩١٤ الى غاية كانون الاوّل ١٩١٦ . فعوّلوا على تعميم أهوالها وضرب كلّ السُّفن ايّة كانت حتّى للدول المتحايدة والمتّسمة بالصليب الاحمر لا تبقي ولا تذر فهيّجت بذلك عليها رأي العالَم اجمعه وكان جفاؤهم من أدعى الاسباب لدخول اميركة في الحرب . على انّ الانكليز اصيبوا بخسائر فادحة فبلغ عدد سفنهم المتلفة زيفاً وستمائة . ولم تخمد تلك الحرب المهولة الّا في اواخر السنة ١٩١٧ بما جهّزهُ الاتّفاقيون من السُّفن المعاكسة للغوّاصات ولاسيّما بالشباك النولاذيّة الممدودة في طريقها المعرقلة لحركاتها والدافعة بها الى رحمة اعدائها . ثم اتتهم اميركة بسفنها فقامت مقام ما اتلفهُ لهم الالمان وشدّدوا جميعهم الحصار على المانية بحرًا وبرًّا وقرّبوا اوان الانتصار النهائي على الدول المركزيّة

وكانت انكلترّة في تلك الاثناء تُعنى في توفير عدد معامل اسلحتها حتّى بلغ المئة في اواخر الحرب بعد ان كان لا يبلغ العشرة في اوائلها وزاد عدد عملتها من بضعة آلاف الى بضعة ملايين خصّت قسماً منهم لاعداد الاسلحة وقسماً لعمل الذخيرة .

اما اسلحتها من مدافع وقنابل وقذائف متفجّرة فحدّث عنها ولا حرج فانّها جعلتها من اشدّ ادوات الخراب والتدمير حتّى اذا بلغت الى مرماهـا انفجرت كالبركان واتلفت كلّ ما حولها بشظاياها . وكانت انكلترّة هي السابقة في اتخاذ تلك الدبّابات المصفّحة الهـائلة المعروفة بالتنك او عجلات الهجوم التي لم يقوَ عليها مانع في سيرها فتقطع الاسلاك الشائكة والحواجز والمتارس ولا تعمل فيها القنابل فتدمّر كلّ ما تلقاه مع تجهيزها بالمترالیوز والرشّاشات المتلفة

فخرجت انكلترّة من هذه الحرب بتاج من الفخر زاد اعتبارهـا في اعين العالم وعزّاها عن خسائرها المادّية الطائلة . وقد أسفت خصوصاً على من فقدته من رجالها الكبار من سياسيين كاللورد روبرتس حاكم الهند سابقاً (١٨٣٢—١٩١٤) واللورد كتشنر السابق ذكره واللورد كرومر معتمد الدولة البريطانيّة في مصر (١٨٤١—١٩١٧) ولكليهم من المآثر ما يخلّد لهم الذكر في عالم السياسة . ومن علماء كالسر ادورد تيلر (١٨٣٢—١٩١٧) معلّم آثار الانسان (انثروبولوجيا) في كليّة اوكسفرد والدكتور باستيان (١٨٣٧—١٩١٥) من علماء الطب والتشريح والطبيعيّات على أنّه اساء الى سمعته بدفاعته عن التولّد الذاتي فروينا كيف زيّف تلامذة پاستور آراءه واختباراته الباطلة . والاستاذ ملدولا من مشاهير الكيميويين († ١٩١٥) . واشهر منه في الكيمياء الطبيعيّة العالمان المبرّزان السر وليم رمزي (١٨٥٢—١٩١٦) له المباحث المهمّة في العناصر المشعّة وتحوّل بعضها الى بعض . ثمّ السر هنري روسكو (١٨٣٣—١٩١٦) من اساتذة كليّة مانشستر . وقد تعزّت انكلترّة عن هذه الخسائر بما افادتها هذه الحرب من الارباح العظيمة بتملكها على بلاد واسعة ومستعمرات غنيّة ورقي في الصنائع ورسوخ قدم في سيادة البحار والمعاملات التجـاريّة والاقتصاديّة جعلها الله وسيلة لنجاة العالم من بلاياه الحاضرة وآلة فاعلة في نشر السلام بين الامم

(لهُ تابع)

اثر قديم للبطريرك اغناطيوس جروه

سعى بنشره الاب لويس شيخو

في احد مجاميع المكتبة العمومية في باريس الموسوم بعدد ٦١٠٠ عدة رسائل خطية عربية كتبها البطاركة الشرقيون وارباب الدين وبعض العلماء يستفاد منها بعض المعلومات لاحوال الشرق . وقد نشر منها المشرق سابقاً (٦ [١٩٠٣] : ٥٠١) رسالة البطريرك مكاريوس الحلبي للملك لويس الرابع عشر . وهاءنذا بأثر آخر نقلتهُ من ذلك المجموع وهي رسالة عددها المرقوم عليها ٣١ كتبها البطريرك الانطاكي على السريان الكاثوليك اغناطيوس ميخائيل جروه بعد هربهِ من بغداد الى لبنان كما اثبتهُ المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٩١٢-٩٢٦) وقد وجهها الى طائفتهِ في مدينة البصرة . ودونك هذه الرسالة بحرفها الواحد وفيها عدة فوائد تاريخية للامة السريانية

حمد الله ومحمده حق حمده وصلاته

على سيدنا ومخلصنا وصفوته محمد

بسم الاله الازلي الواجب الوجود الدائم الى الابد

اغناطيوس ميخائيل بطريرك انطاكية على السريان الحقير (الختم)

النعمة الالهيَّة والبركة الرسوليَّة الحالَّة على الزمرة الاطهار في الفرقة الصهيونيَّة ذات الوقار مانحة لهم جزيل الشرف وغزير الانعام هي تحلّ وتستقرّ على حضرة كامل اولادنا الاعزاء المكرّمين السريان الكاثوليكيين الموجودين في مدينة البصرة نساء ورجال . بارك الربّ عليهم وعلى اعيالهم واولادهم بنين وبنات وعلى سائر تصرّفاتهم باتمّ بركاتهِ العليَّة ويدفع عن محبَّتهم شرّ كلّ محنة وبليَّة بشفاعة مريم العذرى النقيَّة وجميع الملائكة والقديسين امين

ثمَّ بعد إثناء البركة وتخصيص الادعية والسؤال عن خاطركم اعلم محبتكم انني منذ كنت مطراناً على كرسي حلب وبين النهرين حضر لي كتاب من نيافة المجمع المقدَّس يحرّكني بهِ لأرسل كاهناً من قبلي لاجل سياستكم وتدبيركم الروحي فاما انا التزمت بتأخير هذا العمل من حيث انني بعد زمان قليل دُعيت الى كرسي

البطركية وذهبت الى ماردين وارتسمتُ بطركاً هناك بغير استحقاق على هذا الكرسي الانطاكي السرياني وحدث الاضطهاد الشديد علينا من الاراطقة كما لم يخفاكم حتى التزمنا بالنفي والحضور الى مدينة بغداد التي قريبة منكم . وكلّ تلك المدّة التي جلسناها في هذه المدينة كنّا ننتظر منكم كتاباً ينبينا عن سلامتكم واظهار محبتكم وطاعتكم الابنيّة وافتقاد ابوكم الروحي فلم يأتينا ذلك حتى ولا عرفتم بذواتكم حضورنا بغداد كانكم لستم من قطيع اغنامنا ولا من تلك الرعيّة السريانيّة المقدّسة لنا من الله وكنيسته المقدّسة . واما نحن كنّا غايصين في بحر التجارب والاضطهادات المتناوعة هناك التي اخيرًا ألزمتنا بالهروب من بغداد ليلًا وحضرنا في طريق الجول (البريّة) المقفر وحولنا اثنين ثلاثة من العرب الى جبل كسروان بكل عناء وتعب مفرط الذي ربّنا الى الان (ما) قد بلغكم

ثمّ بعد وصولي الى هذا الجبل المذكور حيث انا الآن قاطن حضر اعندنا من رومية في هذا الزمان المبارك القس عطاءالله المكرم الحلبي من طايفتنا تلميذ مدرسة انتشار الايمان المقدّس حامل انا معه بولّات التثبيت الرسوليّة بالختم الرصاصي الموضحات ملو السلطان البطريركي على الكرسي الانطاكي مع الپاليون (الدرع) المقدّس المنوح لنا بغير استحقاق ومن انعام الكنيسة المقدّسة وفضل رأسها الحبر الاعظم قدسي قداسة سيدنا البابا ماري پيوس السادس المالك سعيدًا الذي قد تدرّعنا به يوم الخامس والعشرون من نيسان المبارك بهذه السنة . وهذا الشرف يا اولادنا كان لهُ عدّة سنين مقطوع عن طايفتنا السريانيّة الخائدة عن الكنيسة البطرسيّة ولكن في هذا الزمان نظر الينا ابو المراحم بعين شفقته واقام حقارتنا في هذا المقام العالي وذلك جميعهُ من حنوّه وجوده . فنحن لعلمنا انّهُ عند استماعكم هذا الخبر تفرحوا جدًّا جدًّا فقصدنا إعلامكم بذلك لكي تشكروا معنا فضل مراحم ربنا وتنظروا حنوّهُ وافتقادهُ الصالح لاولادهِ واهتمامه بهم . ونحن الآن بما انّنا صرنا مديونين للاهتمام برعايانا المباركة وخدمتهم الروحيّة فقد أقمنا من قبلنا على اولادنا الساكنين بغداد وعليكم مدبّرًا ووكيلًا في هاتين المدينتين بغداد والبصرة حضرة الاب الكلي الاحترام منسنيور يوسف يوشين النائب العام للسيد مطران بغداد الكلي الشرف ومصرّفيتهُ منّا التصريف التامّ فيكم وفي جميع اولاد جماعتنا السريان الساكنين بغداد والبصرة

والذين يوردوا اليهما من اي بلد ومكان . فالمأمول من محبتكم انكم تعتبروهُ كشخصنا وتقدّموا لهُ الطاعة الواجبة وتخضعوا الى مراسيمه وتقبلوا نصايحهُ وارشادهُ كبنين وديعين طائعين لتعاليمه المقدّسة وان دائمًا تكونوا ساعين معهُ على خلاصكم وخلاص القريب وفي ارتداد اخوتكم القطيع الضالّ لكي انتم وجنابهُ تنالوا الاجر الكامل من الربّ الكافي

وبنا ان يا اولادنا ليس عاد لنا معاش ولا مكان نلتجي فيهِ من ايدي الامم واتطهاد المعاندين من طائفتنا فالتجينا الآن الى هذا الجبل كسروان العامر وقصدنا احسان المؤمنين وقد اتخذنا لنا مكان صغير بالكورة (١ ودعيناه باسم سيّدة النجاة حسب ما اوعدنا قبلًا حيث انّ هذه السيّدة هي التي نجّتنا من سائر الاهوال التي حدثت علينا وقد اوصلتنا الى هذا المجمع ارفاقنا ونجلس بالاطمئنان وندبّر رعايانا التي اقامنا الروح القدس لرعايتها ونقدر نهدأ قليلًا من الاتطهادات التي كابدناها من اعداء الايمان المقدّس والاتعاب والسهر الذي حملناهُ فوق طاقتنا ما عدا خوف القتل الذي وقعنا بهِ كم مرّة بين ايدي الاعداء والربّ ما سمح فلنشكر مراحمهُ وفضلهُ

ثمّ اننا الآن من صميم قلبنا نطلب لكم جميع البركات من الربّ الرحوم ان تكون عليكم وعلى منازلكم العامرة وعلى كباركم وصغاركم وانفسكم واجسادكم وجميع ما يتقلّب بين يمينكم وشمالكم وليحرسكم الربّ الاله من كل عدوّ ومن كل ظالم ومن كلّ مكروه وينميكم ويكثركم ويخلصكم من كلّ شرّ روحي وجسدي بشفاعة مريم البتول بعد تجديد البركة الرسوليّة على جميعكم ثانيًا وثالثًا

أعطي بالكرسي الانطاكي للسريان بدير سيّدة النجاة في شرفة درعون من معاملة كسروان

في ٣ حزيران سنة ١٧٨٥

(١ يريد هنا بالكورة الناحية عمومًا لا مماثلة الكورة

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

سفارة الاب يوحنا الياني الثانية الى الموارنة ١٥٨٠ــ١٥٨٢

من طرابلس الى قنّوبين

تهافت عمّال الديوان في طرابلس وهم أخلاط من الترك واليهود وغيرهم على امتعة الابوين اليانو وبرونو ليفتشوها فوقع نظرهم على ما أتيا به من الآنية الكنسيّة والصور والكتب الدينيّة فخافا ان يصيبها بسببها اذًى وانزعاج لولا الوجيه الماروني يوسف حبيش فانهُ بمجاملته لرجلين من رؤساء العمّال طويلَي القامة شديدَي الساعد احدهما نصراني من الروم والآخر يهوديّ انقذ المرسلين من كلّ عنف وهوان

ويوسف هذا هو الشيخ ابو منصور يوسف بن حبيش الذي اثنى عليهِ البطريرك الدويهيّ في تاريخهِ (ص١٧٣) حيث قال انهُ «كان صاحب الكلمة والحظوة عند الامير منصور عسّاف المتولّي وقتئذٍ على شمالي لبنان وكسروان وعند ولدهِ الامير محمّد». وكان الاب اليانو عرف فضلهُ سابقاً في رحلتهِ الاولى فاستفاد من حسن خدمهِ ونجا هذه المرّة ايضاً من طمع العمّال بأداء شيء من الدراهم ولم ينفقد من تلك الامتعة سوى كاس من نحاس مذهّب اخذهُ احد الاتراك. فشكر للشيخ يوسف معروفهُ وقدّم لهُ رسالة الكردينال كرافّا مع الهدايا المرسلة لهُ من ذاك الصديق للموارنة في رومية. فسُرّ الشيخ بها ووعد المرسلين خيراً وأكّد لهما انهُ سيفرغ الجهد في حمايتهما حيثما حلّا. وكذلك عاملا الديوان احبّ الابران ان يظهرا لهما ممنونيّتهما فاهدى الاب اليانو النصرانيّ كتاباً مزيّناً بتصاوير بديعة مضمونهُ سيرة المسيح. واليهوديّ اهداهُ نسخةً من التوراة العبرانيّة. ثمّ ودّع الشيخ يوسف الذي كانت وفاتهُ بعد ثلث سنين في ١٩ ايلول ١٥٨٣ فخلفهُ في منصبهِ اخوهُ الشيخ ابو يونس سليمان حبيش (الدويهيّ ص ١٧٣)

ومن خدم الشيخ يوسف لطائفته انهُ في السنة ١٥٧٠ لمَّا استولى اهل بيروت من المسلمين على كنيسة الموارنة وجعلوها قيصريَّة اتَّفق مع مشايخ بيت الدهان وطائفة الروم الملكيين على ان يشركوا الموارنة في كنيسة السيدة التي للملكيَّة في داخل المدينة على شرط ان يشترك الملكيُّون في كنيسة مار جرجس التي للموارنة خارج المدينة وهي التي تعرف اليوم بمقام الخضر قريباً من نهر بيروت ضبطها علي باشا وجعلها جامعاً سنة ١٦٦١ . وهو ايضاً الذي استخلص سنة ١٥٧٢ بواسطة الامير منصور بن عسَّاف دير قنُّوبين من الضرائب التي وزِّعت عليهِ وكانت بالغةً مائتي سلطاني. والسلطاني ثلثا القرش والقرش يومئذ كالريال اليوم (تاريخ الموارنة ١٧٣)

وكان السفير الرسوليّ عند وصوله الى طرابلس ارسل ساعياً الى قنُّوبين ليعلم غبطة البطريرك ميخائيل بقدومهِ . فسُرَّ بذلك اي سرور وكان اذ ذاك طريح الفراش فودَّ لو يستطيع ان يخفَّ لاستقبال ممثل الحبر الاعظم لكنَّهُ اوفد الى طرابلس ليَنوب عنهُ المطران جرجس البسلوقيتي مع احد الرهبان وصحبهما ببعض الالطاف والزاد للطريق . فلمَّا بلغا المدينة رحَّبا بالرسلَيْن وقدَّما لهما باسم السيد البطريرك التهانئ بوصولهما سالمين وشكرا قداسة البابا والكردينال كرافًا على التفاتهما الى الطائفة المارونيَّة

وقد وصف الاب الياتو في رسالاته (Litteræ annuæ, 1581, p. 202) مسيرهُ البهيج من طرابلس الى قنُّوبين وتقاطر اهل الجبل لاستقبال الوفد الرسولي فمنهم من كان يتغنَّى بالاهازيج ومنهم من يدقّ الطبول والدفوف وينفخ الزمارات. وكان اهل كل قريَة يتزاحمون على السطوح عند مرورهم والنساء يتهللنَ باصوات الفرح (الزلاغيط) ويصرخن: انتم نورنا ونجاتنا فليحفظ الله الكرسيَّ البطرسيَّ (الله يخلّي لنا البابا) ونائبهُ

قال الدويهيّ في تاريخ سنة ١٥٨٠ (ص ١٧٧) : فلمَّا وصل جوان باطيشتا وجوان بيرونا الى الجبل ودنوا من الكرسيّ كان البطريرك ميخائيل طريح الفراش فامر أخاهُ الاسقف سركيس ان يجمع الاكليروس ليخرجوا الى لقائهما بالمباخر وقراءة المزامير احتراماً لمن ارسلهما »

وكان وصول الايبين الى قنُّوبين يوم الثلثاء ٩ تشرين . فاحسن السيد البطريرك

استقبالها وقبّلها باذراف الدموع فرحاً . وشمل هذا السرور اخاهُ المطران سركيس الرزّي واساقفة الكرسيّ وجميع سكان الدير . وبلغ فرحهم كلّ مبلغ اذ علموا بما اتى بهِ المرسلان من المناشير البابويّة ومن الهدايا الثمينة فكان قلبهم مفعماً شكرًا ولسانهم مطلقاً في الثناء على قداسة الحبر الروماني ونيافة الكردينال كرافًا . فكان لهذا الاستقبال الوقع الطيّب في قلب المرسلين الرسوليين فتأكّد الاب اليانو انّ هذه السفارة الثانية سوف تأتي بالثمار الطيّبة وتنزع من الزرع الجيّد مما اختلط بهِ من الزوان فتتأصّل الامانة الكاثوليكيّة في تلك التربة الصالحة . ثمّ قضيا ذلك النهار يتحدّثان عن رومية واهلها وآثارها ولاسيّما عن محبّة البابا غريغوريوس والكردينال كرافًا لطائفتهم المارونيّة وعن الولدين المرسلين الى امّ المدائن ليتخرّجا فيها في الآداب الكنسيّة

ثمّ جعلا يوم الخميس ٢١ تشرين موعدًا لاجتماع الاكليروس واعيان الطائفة ليبلّغاهم رسميًا كتابات الحبر الاعظم والكردينال المحامي وعرض الهدايا التي تكرّما بها على غبطة البطريرك وحاشيتهِ الكريمة

ففي اليوم المذكور تمّ ذاك الاجتماع في غرفة السيّد البطريرك . فدخل المرسلان فوجدا غبطتهُ وعلى يمينهِ المطران سركيس اخاهُ مع نخبة من ارباب الدين ووجوه الملّة حولهُ فأخذ الاب يوحنّا اليانو يفضّل امامهم سبب بعثتهِ اليهم والغاية الروحيّة التي توخّاها الكرسيّ الرسولي من تلك السفارة ثمّ اورد لهم خلاصة ما تتضمّنهُ البراءة الرسوليّة الى غبطة البطريرك مع بقيّة الرسائل الموجّهة اليهِ والى شعبهِ . فلمّا انتهى اخذ البطريرك براءة البابا وقبّلها ووضعها على رأسهِ شاكرًا الاب الاقدس حنوّهُ وتعطّفهُ على اولادهِ

ثم أبرز السفير البابوي ألطاف الحبر الاعظم وكان في مقدمتها الدرع المقدّس الذي أعدّ للسيّد البطريرك تثبيتاً لسلطتهِ الروحيّة ثمّ كتبيّة من البلسم لاستحضار الميرون المقدّس مع الآنية اللازمة لحفظهِ وحفظ الزيت المبارك . ثمّ عدد وافر من الكؤوس ووجوه الهياكل وقوالب البخّور والصور الغالية الثمن وغير ذلك من الامتعة التقويّة من جملتها الف مسبحة وردية كان الابوان اشتريا حبوبها وموادّها في البندقيّة بخمسين ريالًا واشتغلا مع الاخ المساعد في نظمها بالاسلاك في ساعات الفراغ

ولشدّ ما سُرّ البطريرك والسادة الاساقفة بالكتب المطبوعة التي اتى بها المرسلان وكان البابا افرغ جهدهُ في استحضار الحروف لطبعها . وكان بين تلك المطبوعات تعليم مسيحيّ ينسبهُ البعض الى الاب جوان برونو والبعض الى الاب اليسانو او الى الطوبويّ بطرس كنيزيوس الّا ان تعريبهُ للاب اليانو فطلب كلّ الحضور منهُ نسخاً فوزّعهُ عليهم وعلى كلّ من شاء من نصارى لبنان . فكان إقبالهم عليهِ داعياً لفرح المرسلين اذ استنتجا منهُ خلوص رغبتهم في درس حقائق الدين القويم

وكان المرسلان اتيا بعدد عديد من الحلل الكهنوتيّة والبدلات لكنهما رأيا انها مع وفرتها لا تكفي لجميع الكنائس . وكانت هذه الحلل مبطّنة ذات لونين على وجهيها ففتقها الابوان والشمّاس اليسوعي المساعد المسمّى برنرديتو وافردوا كلّ لونٍ وحدهُ فضُوعف بذلك عددها وامكن توزيعها على معظم كنائس لبنان . وكذلك لم يفِ عدد الكؤوس بحاجة الكنائس فاستدان الاب اليانو خمسين ليرة من تاجر في طرابلس اسمهُ ريغولو ووفّر عددها ثمّ بلّغ الكردينال كرافا خبر دينهِ راجياً ان يوفى عنهُ كما قرّر ذلك في رسالتهِ اليهِ المؤرخة في ١٩ تمّوز ١٥٨٠

وما كاد الابوان يأخذان نصيباً من الراحة بعد اتعاب سفرهما حتّى فكّرا في القيام بأمورٍ يتهما فاستدعيا الاكليروس والشعب واخذا يسعيان بارشادهم . فباشر الاب اليانو بتلاوة التعليم المسيحيّ السابق ذكرهُ مع شرح ما فيهِ من العقائد الدينيّة . وكان يتّسع في بيان القضايا التي وجدها في كتب الموارنة مبهمةً او غير موافقة التعليم الكاثوليكيّ فكان الجميع يقبلون على استماعهِ بشوق ويرتاحون الى تعاليمهِ برغبة

وممّا عرضهُ على مسامع غبطة البطريرك والسادة الاساقفة صورة قوانين المجمع المنوي عقدهُ قريباً وكان حرّر تلك الصورة في مدّة سفرهِ من البندقيّة الى قبرس مع الاب برونو وقسّمهُ فصولاً كما يلي : في الثالوث الاقدس . في انبثاق الروح القدس . في طبيعتي السيّد المسيح ومشيئتهِ وفعلهِ . في صلاة التقديس الثلّث (Trisagion) . في المطهر . في عدد الاسرار وصورتها ورتبها واستعمالها الخ . في الاصلاح . فوجد السامعون هذه القوانين مملوّةً حكمةً وصواباً واتّفقوا اعترضوا عليها ببعض الاعتراضات التي اجاب عليها المرسلان بحيث اقنعا المعترضين وقد افادا الحبر الاعظم عن كلّ ما جرى من ذلك فأثنى البابا على عملهما وحرّضهما على مواصلة مهمّتهما بكل نشاط وفطنة

ثمَّ ثبتا على تلك الارشادات الى عيد انتقال السيّدة الى السماء. فكانا يفتشان كتباً اخرى اتيا بها لافادة الجمهور . وكانا يقضيان بقيّة الوقت في الاشغال اليدويّة . وذلك انهما كانا تعلّما في ايطالية صناعة تجليد الكتب بمساعدة الاخ برنردينو رفيقهما فجلّد ثلاثتهم كثيراً من الكتب التي وزّعت على الكهنة وجمهور الشعب

المجمع الملّي في ١٦ آب ١٥٨٠

استعدَّ الموارنة كمألوف عادتهم في ذلك الوقت لعيد السيّدة بالصوم والقطاعة مدَّة خمسة عشر يوماً وبالصلوات والفرائض التقويّة والرتب الكنسيّة التي حضرها المرسلان متنيين على عبادة الشعب نحو البتول الطاهرة . ثمَّ ارسل السيّد البطريرك واستقدم الاساقفة والكهنة وسبعة من اعيان الطائفة ليحضروا حفلات العيد في الكرسي البطريركيّ دون ان يذكر شيئاً من امر المجمع لئلّا يحدث بذلك بعض سوء تفاهم

فلمّا كان يبرامون العيد اخذ المدعوون وكثير من اهل القرى يبادرون مسرعين الى دير سيّدة قنّوبين ليقيموا ذلك العيد بأعظم ما يمكن من الرونق والأبّهة وخصوصاً بسبب حضور نوّاب الحبر الاعظم الروماني حتّى بلغ عددهم في غلس العيد ٢٢٠٠ نسمة فضاقت بهم ارجاء الدير مع رحبها ومع ما كان عليه الكرسي من الفقر في تلك الايّام رحّب البطريرك بجميع الوافدين واحسن ضيافتهم . وكان الوفود عند قدومهم يلثمون انامل غبطته ثمّ يقدمون واجبات الاكرام للابوين ويفيضون في مديح قداسة البابا الذي ارسلهما اليهم

ولمّا حانت الساعة في ضحى النهار لبس السيّد البطريرك حلى التقديس وسار بكلّ احتفال الى كنيسة الدير واذ هي مزدانة بأفخر زينتها تتلألأ الانوار على هيكلها . وكان بجانبيه المرسلان الرسوليّان وحوله السادة الاساقفة وجمهور الكهنة والشعب . وكان امر غبطة البطريرك بان تُعدّ للقاصدين سدّتان يجلسان عليهما على جانب الهيكل واراد هو مع الاساقفة ان يجلسوا على درجات الهيكل فلم يرض الابوان بهذا الاكرام الزائد حتّى أحضر للسيّد البطريرك عرشهُ ولجميع اساقفته مقاعد اهلة برتبهم . فباشر غبطتهُ بقدّاس احتفالي غاية في الأبّهة والرونق كما تقتضيه الاحوال

وأما انتهت الذبيحة الالهيّة تقدّم الاب اليانو امام المذبح وتلا الصلوات الى الروح القدس التماساً لفيض نعمهِ . ثمّ جلس كلّ في مرتبتهِ فلفظ الاب المذكور خطاباً انيقاً في العربيّة افتتح بهِ المجمع المقصود فبيّن بوجيز الكلام وأوضحهِ ما هي غاية سفارتهما وما يُنتظر من الثمار الطيّبة بانعقاد ذلك المجمع . ولأن المجامع يفتتحها عادةً ارباب الكنيسة بتلاوة صورة الايمان اشار على الحضور بان يتلوها بعدهُ عبارةً فعبارةً كما وضعتها الكنيسة الرومانيّة امّ كنائس العصور المبنيّة على الصخرة البطرسيّة فيباركون ما تباركهُ ويلعنون ما تلعنهُ . فما سمع الجمهور هذا الكلام حتّى هتفوا بصوت واحد : لا نعتقد الّا ما تعتقدهُ الكنيسة الرومانيّة فايمانها ايماننا ولاجل هذا الايمان نحن مستعدّون لقبول الموت والعذاب (١

فوزّع الخطيب حينئذ نسخاً مجلّدةً من صورة الايمان المذكورة ثمّ جثا راكعاً امام المذبح وتلا بصوت جهور ذلك الدستور والحضور يكررون بعدهُ عباراتهِ . ولمّا انجز تلاوتهُ اخذ الانجيل الطاهر وتتبّع الصفوف مباشرةً بالسيّد البطريرك ثمّ الاساقفة ثمّ الكهنة ثمّ الشعب طالباً منهم جميعاً ان يقسموا عليهِ بوضع اليد انّهم يقرّون بتلك العقائد ولا يخالفونها البتّة . فأقبل الجميع على ذلك القسم بفرح جزيل مع تكرار اصوات الرضى والتهليل

وفي اثر ذلك اردف الخطيب قائلاً : انّ بطاركة الطائفة المارونيّة منذ عهد البطريرك ارميا العمشيتي في زمن البابا زخيا (اينوشنسيوس)الثالث الذي كان يرأس الكنيسة سنة ١٢١٥ قد جروا على العادة عند انتخابهم لرئاسة الكرسيّ الانطاكي على الموارنة ان يرسلوا وفداً الى الحبر الروماني ليثبتهم في سلطتهم . فبموجب هذا التقليد القديم قد طلب غبطة البطريرك الحالي هذه النعمة من الحبر الاعظم الذي لم يتريّث عن ان يمنحها اياهُ تلبيةً لدعوة الكرديتال كرافّا الذي قاوم بعض المعترضين على ذلك . ومن ثمّ قد سلّمني قداستهُ البراءة المؤذنة بتثبيته ومع البراءة رقيم لسيادة المطران سركيس شقيقهِ يقيمهُ بهِ نائباً عنهُ ليسلمهُ باسمهِ الدرع المقدّس بعد ان يُعلن بايمانهِ وفقاً للصورة المرسلة من قداستهِ . ثمّ شرح الاب اليانو معنى ذلك الدرع

(١ كذا روى الاب اليانو في رسائلهِ التي نقل خلاصتها الاب سكّيني مؤرخ الرهبانيّة اليسوعيّة الشهير (Sacchini, I, 100-105)

واثبت عظم شأنه وفسّر البراءة الرسوليّة المؤذنة بتقليده وبين المطران سركيس كيف يخوّله لغبطة البطريرك فتمّ الامر كما كان مفصّلًا في الرقيم الوارد باسمه فتلا صورة الايمان والخضوع للكرسيّ الرسولي وأقسم بان لا يحيد عنهُ فوضع حينئذٍ السيّد سركيس ذلك الوسام على عنق البطريرك

فعلت اذ ذاك اصوات الفرح لمّا رأت الجموع رئيس الطائفة الاجلّ مزدانًا بشعار اعتصامه المتين بمركز الخلافة البطرسيّة فاخذوا يهتفون : « المجد لله كير يا ليسون . العزّ والفخر للبابا غريغوريوس كير يا ليسون . الشكر الكردينال كرافّا محامي طائفتنا كير يا ليسون . الثناء والحمد للاب جوان باطشتا ولرفيقه . وليدم الله على رأسنا غبطة سيّدنا البطريرك ويعزّز به طائفتنا المارونيّة الابنة المطيعة للكنيسة الرومانيّة » . وكانت الاجراس في اثناء ذلك تُقرع فيتردّد صداها في تلك الاودية العميقة وهي تستفزّ الحميّة الدينيّة في كلّ القلوب . فكانت الدموع تنهل من عيون كثيرين من الكهنة والشيوخ سرورًا بينما كان المرسلان يقدّمان لله الشكر العميم لمباركته على اعمالهما مؤملين خيرًا من المجمع المفتتح بتلك الهشاشة والاريحيّة مستمدّين من مراحمه ان يكون ختامهُ صالحًا كافتتاحه وهما يعلمان حقّ العلم انّ ابا الظلمات يترصّد لعمل الله ليعيقهُ ويعرقله

ثمّ تخلّى السيّد البطريرك والسادة الاساقفة مع نائبي الحبر الاعظم لدرس قضايا المجمع والبحث فيها فعقدوا لذلك عدّة جلسات مدّة ثلثة ايّام فأيّدوا باتّفاق الاصوات ما عرضهُ المرسلان بخصوص عقائد الايمان في الثالوث الاقدس وانبثاق الروح القدس وطبيعتي السيّد المسيح ومشيئتيه وفي صلاة التقديس المثلّث والصلاة على الموتى وفي اسرار الكنيسة السبعة إجمالًا وإفرادًا وفي الاصلاح مشتملًا على كلّ رُتب الكهنوت وتصرّف ارباب مع رأس الكنيسة الجامعة ورؤسائهم ورعاياهم وما يجب عليهم قبولهُ من الاسفار الالهيّة ونفي كتب الهراطقة . وكان الاب اليسانو يعرض كلّ ذلك فصلًا فصلًا ويدوّنهُ بالعربيّة فيمضي عليهِ آباء المجمع كلّ واحد باسمهِ مع ختمهِ وسُجلت اعمال هذا المجمع لتحفظ في الكرسيّ البطريركيّ . ونقلها الاب اليسانو الى اللاتينيّة فبقيت محفوظةً في سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة حتّى نشرها المرحوم الاب انطون ريّاط في مجموعه المعنون Documents inédits)

pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, I, 152-169) وهي غاية في الفائدة لمعرفة تاريخ الطائفة المارونيّة وردّ الشبهات التي اتّهم بها البعض الاب جوان باطشتا . وترى في آخرها اسماء المثبتين لاعمال المجمع اوّلها اسم السيّد البطريرك ميخائيل الرزي يليه اسم القاصدين الرسوليين ثمّ الاساقفة سركيس من كفرحورا ويعقوب العاقوري وجرجس البلوقيتي ويوحنّا الاهدني واقليمس الاهدني ويوسف مطران قبرس ويوحنا الخصروني وكلّ منهم يضيف الى اسمه قولهُ : « قد رضيتُ وختمتُ » وهذه الاعمال في عشرة ابواب ولكلّ باب عدّة فصول وكلّها باللاتينيّة واماّ الاصل العربي فلا يعلم ماذا حلّ بهِ . والعجب انّ مؤرخ الطائفة المارونيّة البطريرك اسطفان الدويهي لا يشير اليهِ مطلقاً وكأنّهُ يجهلهُ وغاية ما ذكر هناك قولهُ عن تقليد الدرع للبطريرك (ص ١٧٧ و ٤٤٤) : « وفي عيد انتقال السيّدة وهو عيد كنيسة الكرسيّ امر (اي البطريرك) بحضور جميع الكهنة واعيان الشعب ولبس الدرع واقام القدّاس واقسم بالطاعة بوجب الصورة التي رتّبها الآباء في مجمع ترنتو »

وفي اثناء المجمع حضر الى تنّوبين احد اساقفة اليعاقبة وبصحبتهِ رجلٌ من علماء طائفتهِ . فاكرم المجتمعون مثواهما ودعوهما الى حضور جلسات المجمع ورخّصوا لهما ان يعرضا ما شاءا من المشاكل الدينيّة على آباء المجمع وقد سُرّ القاصدان بمجيئهما وأحبّا ان يُعلنا اعتقادهما في طبيعتي المسيح ليتّخذ المرسلان من قولهما فرصةً لايضاح العقائد الكاثوليكيّة . ولمّا صرّح الاب اليانو بأن الكنيسة الرومانيّة تعتقد في السيّد المسيح طبيعتين ومشيئتين وفعلين انكر الاسقف اليعقوبي قائلاً : بل طبيعة واحدة — قال الاب اليانو : « اي طبيعة البشريّة او الالهيّة ؟ » — قال رفيق الاسقف : الطبيعة الالهيّة بلا شكّ — قال الاب اليانو : « وكيف امكن الطبيعة الالهيّة ان تولد وتتألّم وتموت ؟ » — قال الاسقف : لا بل هي الطبيعة البشريّة . — قال الاب : « فكان اذن السيّد المسيح خلواً من الطبيعة الالهيّة فليس هو اذن إلهاً . وذلك ما تخالفهُ اعمالهُ واقوالهُ اذ ينسب الى نفسهِ اللاهوت وهو يتكلّم كإله ويجترح المعجزات كإله وكسيّد الخليقة » واندفع الاب اليانو في شرح هذه الحقيقة شرحاً وافياً مثبتاً بآيات الانجيل واقوال الآباء طبيعتي السيّد المسيح ومشيئتيهِ وفعليهِ في اقنومهِ الواحد حتّى ابكم الاسقف ورفيقهُ المعترضين فلم يعودا ينبسا ببنت شفة .

فسرّ الموارنة بانتصار الحقيقة ولم يتوقّفوا عن التوقيع على كون المسيح ذا طبيعتين ومشيئتين وفعلَين ولم يبقَ لهم ريبٌ في ذلك

وفي مدّة المجمع عينهِ في اوقات الفراغ قصد المرسلان ان يوزّعا ما أتيا بهِ من الموادّ التقويّة كالصور والمسابح والايقونات والكتب مع حسنات أخرى تكوّم بها الحبر الاعظم على فقراء الطائفة . وكذلك دعوا الكهنة ليقتما عليهم الحلل المقدّسة وآنية التقديس واتّخذا في ذلك مشورة السيّد البطريرك وشقيقهِ المطران سركيس ووزّعا تلك الحلل ومثلها الكؤوس على الكنائس الفقيرة . امّا قوالب البرشان فلقلّة عددها لم تُعطَ الّا لبعض الكنائس الكبرى على شرط ان تهيّئ القربان للكنائس المجاورة . بيد انّ الاساقفة ارتأوا ان حقوقهم قد بُخست بهذا التوزيع وهم احقّ من الكهنة بتلك الهدايا . فوعدهم الاب ايليانو بانهُ يطلب لهم من رومية ما هو اغلى منها ثمناً وارفع شأناً فكتب في هذا الصدد الى الكردينال كرافّا في ١٩ تمّوز ١٥٨٠ وخصّ بالذكر المطران سركيس وطلب لهُ بدلةً فاخرة وتمّا كتبهُ انّ هذه الهدايا ألّفت قلوب اللبنانيين فقابلوها بملء الشكر ومزيد الفرح . وكتب ايضاً في المعنى للحبر الاعظم ووصف لهُ خلاصة ما جرى لهما تلك المدّة

وكان في تلك الاثناء بعض النشماء ومحبّي الفتن لشاعوا بين الموارنة البعيدين عن الجبل كدمشق وبعلبك وقبرس انّ الحبر الاعظم ارسل القاصدين ليبدلا طقوسهم ويكلّف الطائفة ضرائب ماليّة . فبلغت الى الكرسيّ البطريركي رسائل بهذا الصدد وقف عليها الايوان . فلئلّا تسري تلك الاراجيف اجتمعا باساقفة المدن المذكورة قبل رجوعهم الى ابرشيّاتهم واوصاهم بتفنيد تلك الاشاعات الباطلة وخلوص محبّة الحبر الروماني لكنائسهم . وهكذا فعل السيّد البطريرك فكان عند وداعهِ للاساقفة ووجوه الشعب يحضّهم على الاعتصام بالايمان الكاثوليكيّ الروماني وعلى الدفاع عنهُ الى الموت . واوصاهم بان يقبلوا بكل اكرام القاصدَين عند ما يزورانهم وبمثلهما احد اساقفة الكرسيّ ان لم يستطع هو ان يرافقهما وان يخضعوا لاوامرهما بخصوص فحص الكتب المخطوطة فينقادوا لحكمهما فيها ويصلحوها او يحرقوها كما يقضيان

ومن اثمار المجمع الذي مرّ لنا ذكرهُ انّ القاصدين امكنهما اصلاح ذات البين الواقع بين السيّد البطريرك ميخائيل وبعض اساقفة الطائفة وهم ثلثة يعقوب

الحاقلاني والحبيس يوفان واخوهُ القس يوسف ابنا عاوان من سمرجبيل كان الطران داود وكيل دير قزحيا سقفهم بدون مشورة البطريرك فربطهم البطريرك ولم يرضَ بحلّهم من الرباط في رحلة الاب اليانو الاولى . ففي هذه السفارة الثانية استفد الاب اليانو وسعهُ في حسم الشرّ فدعا اليهِ اولئك الاساقفة وخاطبهم مرارًا حتّى اقنعهم بان يذهبوا ويتطرحوا عند اقدام غبطة البطريرك ويستمدّوا منهُ الصفح عن ذنبهم ويقبلوا ما يفرضهُ عليهم من التأديبات ففعلوا وكان القاصدان استرحما لاجلهم السيّد البطريرك وساعدهما في ذلك الشيخ يوسف حبيش فرحّمهم وصالحهم لكنهُ منعهم من التصرُّف بحقوق الاسقفيّة . وهكذا تمّ هذا الشقاق الذي طالت مدّتهُ نحو ثلث سنين كما فصّل ذلك الاب اليسانو برسائلهِ الى الحبر الاعظم على خلاف ما ذكر الدويهيّ (ص ١٧٥) من انّ ذلك انتهى بعد ثلاثة اشهر بشفاعة المقدَّم مُقلد والشدياق خاطر والله اعلم . (لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Summarium Theologiæ Moralis ad recentem Codicem Juris Canonici accommodatum auctore **Ant. M. Arregui** s. j. *Bilbao, ed.* 4ª, 1919, pp. 653, in-16.

خلاصة اللاهوت الادبيّ للاب ارّيني اليسوعيّ

نحضُّ كلّ الكهنة الشرقيين الذين يعرفون اللغة اللاتينيّة ان يقتنوا هذا الكتاب الصغير الحجم الكثير الفوائد الذي بلغ في سنتين طبعتهُ الرابعة فانّهُ بحسن تقسيمهِ ووضوح شروحهِ وسعة موادّهِ وجمال طبعهِ وتجليدهِ مع تطبيقهِ على الحقّ القانوني الجديد يغنيهم عن مكتبة كبيرة

P. Jean Chiniara : Le Martyr et l'Exilé. *Bar-le-Duc*, 1919, pp. 104.

الشهيد والمنفيّ

ليس خفيّ الّا سيظهر . فقد انقشعت تلك السحابة المظلمة التي كانت تضغط

على هذه البلاد اخذت الحقيقة تبدو للعيان بعد زهوق الباطل . والكتاب المعنون « بالشهيد والمنفي » مما يساعد على اثبات اليقين وتزييف الكذب . قد ضمّنهُ كاتبهُ ما جرى لاحد اساقفة بلادنا الاجلّاء سيادة يوسف الدوماني مطران طرابلس على الروم الملكيين في توقيفه ومحاكمته ونفيه ظلماً مع ما قاساهُ مدة اربع سنين بجور جمال باشا وعمّال الترك . وذلك لزعمهم زوراً انهُ اخفى في داره الاسقفية شناسا فرنسوي يُدعى اناتول ميزده حكم عليه بالاعدام فمات بشهامة بعد اعلانه ببراءته وصفحه عن الحاكمين بقتله . ويزيد هذا الكتاب اعتباراً انهُ بقلم شاهد عياني قاسم سيادة مطرانه اوجاعهُ في محاكمته ونفيه فنجوا بحسن عناية الله ل . ش

P. Paul Mattern s. j: Directoire pour les écoles primaires chrétiennes en Syrie, *Beyrouth, Imprimerie Catholique*, 1919, pp. 48.

دليل المدارس الابتدائية المسيحية في سورية

هذا الكرّاس الصغير اوّل تأليف من جنسهِ وُضع لارشاد معلّمي المدارس الابتدائية في سوريّة وهو غاية في الافادة لما جمعهُ فيهِ مؤلفهُ الفاضل من المعلومات اللازمة لتنظيم المدارس الابتدائيّة وضبطها في هذه البلاد وقد قسمهُ الى ثلثة اقسام فبحث في القسم الاوّل عن تجهيز هذه المدارس وصفات معلّميها والوسائط الضامنة لنجاح طلبتها . وذلك في خمسة فصول محكمة شاملة . وخصّ القسم الثاني بتربية الاولاد الادبيّة والدينيّة والبدنيّة في ثلثة فصول . اما القسم الثالث فانّ مباحثهُ تتناول التعليم وطبقاته وتقاسيمهُ ومرادهُ المختلفة مع تعريف الكتب المدرسية المفيدة لهُ مباشرةً بمبادئهِ الى اعلى درجاتهِ . وهذا القسم يقسم الى خمسة فصول . وقد اضاف الى هذه الاقسام بابا خصوصيًا لمساعدة الاولاد بعد خروجهم من المدرسة ليحافظوا على سلوكهم وحسن آدابهم . وفي آخرهِ جداول شتّى لنظام ساعات النهار في المدارس واوقات التدريس لكل لغة او مادة . فترى ان صاحب هذا التأليف لم يهمل شيئاً من كل ما يتعلق بهذا الامر المهم فلا غنى عنهُ لارباب المدارس

ل . ش

MICHEL T. FÉGHALI: 1° Le parler de Kfar 'Abida (Liban-Syrie): Essai linguistique sur la Phonétique et la Morphologie d'un parler arabe moderne. *Paris, Imp. Nationale*, 1919, in-8, XV-307 = 2° Etude sur les Emprunts Syriaques dans les parlers arabes du Liban, *Paris, H. Champion*, 1918, in-8, pp. 95.

١° دروس لغويّة لتعريف خواصّ اللهجة العاميّة في كفرعبيدا (لبنان)
٢ الالفاظ العاميّة المستعارة في لبنان من اللغة السريانيّة للخوري ميشال فغالي

طالما تمنّينا ان ينقطع بعض اهل الشام ولبنان الى درس اللغات العاميّة الشائعة فيهما لما في البحث عنها من الفوائد الجمّة سواء كان للتاريخ او للآداب اللسانيّة . فنشكر الله على انّ صوتنا وجد صدًى في اذني بعض بني الوطن حضرة الخوري ميشال فغالي احد اساتذة كليّة بوردو الفرنسويّة . فانّه لمّا قرأ ما كتبناه في سنة المشرق الخامسة عشرة (ص ٤٣٧) في هذا الشأن دعت به النخوة الى مباشرة هذا العمل وخصّ بدرسه وطنه في الجهات الشماليّة من لبنان ولاسيّما كفرعبيدا مولده في مديريّة البترون العُليا . والحقّ يقال انّنا هذه المرّة الاولى نجد كتاباً مستوفياً لكل شروط الانتقاد والتدقيق ظهر بقلم احد الوطنيين فلا عجب ان اتّفق المستشرقون في الثناء على هذا التأليف الذي تتبّع فيه المؤلف كلّ وجوه اللهجة العاميّة في خواصها اللفظيّة وفي كافّة صور تصريفها الاسميّة والفعليّة . نعم انّ المؤلف حصر درسهُ في لغة بعض قرى لبنان الّا انّ ملحوظاته كثيراً ما تصدق على كلّ اللهجات الشائعة في انحاء الجبل بل في كلّ جهات الشام . فبتأليفه هذا قد مهّد الطريق لمن يحاول درس اللهجات الخاصّة بل نهجها لمن يريد ان يبحث بحثاً عموميًّا عن كلّ هذه اللهجات — وقد اضاف حضرته الى هذا التأليف الجليل تأليفاً ثانياً مثلهُ افادةً وتدقيقاً وهو درس ما استعارته اللهجات اللبنانيّة من اللغة السريانيّة التي شاعت اجيالاً مديدة في الجبل قبل ان تتغلب عليها اللغة العربيّة . وقد صدّره بمقدمة مفيدة عن تاريخ اللغة السريانيّة في لبنان وعن بقاياها بين اهل الجبل . وممّا امكنهُ ان يذكرهُ في جملة الكتب المفيدة لهذه الدروس العاميّة في الشام ولبنان : ما كتبهُ الطبيب الذكر المطران اقليميس داود عن لهجة دمشق والاب لاون پوريار عن لهجة حلب والاستاذ ماتسون (Em. Mattsson) عن لهجة بيروت والمستشرق

لويس مسينيون عن لهجة بغداد . فكلّ هذه التآليف التي استحقّت لصاحبها امتيازات الملتفة في الآداب كحجارة لبناء عظيم لنا الامل ان يشيده يوما حضرة الخوري ميشال فغالي او احد أشباهه علماً وغيرةً

ل . ش

MARSEILLE ET PROVENCE — L'UNIVERSITÉ D'AIX-MARSEILLE AUX ÉTUDIANTS ALLIÉS — BULLETIN DU COMITÉ DE RELATIONS INTERNATIONALES, INTELLECTUELLES ET ECONOMIQUES. — NOTICE SUR MARSEILLE par **M. J. Léotard.**

دليل مرسيلية وكليتها ومعاملها

اتحفتنا غرفة مرسيلية التجارية التي سعت في العام الماضي بعقد مؤتمر سوريّة (اطلب المشرق ١٩٢٠ ص ٤٤) بهذا الدليل البديع وفيه من المعلومات ما يستفيد منهُ المسافرون من بلادنا الى فرنسة عند حلولهم ربوع تلك المدينة شقيقة سورية فيستدلّون على طُرقها ومحاسنها وسائر ما يحبُّ الغرباء معرفتهُ عند بلوغهم الى بلد جديد . وقد أحقت هذا الدليل بكرّاس آخر في تعريف كليّة مرسيلية وفروعها في مدينة إكس لفائدة طلبة العلوم . والتأليفان مشحونان بالصور الفوتغرافيّة البديعة . وجاءنا معهما نسخة من نشرة جديدة باشرت بها لجنة ساعية بالعلائق الدوليّة والادبيّة والاقتصاديّة بين مرسيلية وغيرها من البلاد . وفي آخر ساعة وصل منها نبذة تاريخيّة عن مرسيلية للسيو جك ليوتار فنشكر آل الغرفة التجاريّة على لطفهم

WHY GERMANY CAPITULATED on November 11-1918, *Paris*, 1919, pp. 68., in-8.

لاي علة طلبت المانية الصلح في ١١ ت ٢ ١٩١٨

قد بيّنا في كلامنا عن المانية في عرض مقالتنا المعنونة باعظم طامة في الحروب العامة ما ألجأ الالمان الى ان يلتمسوا الصلح من الاتفاقيين بعد ان كرّروا الف مرّة بان النصر سيكون حليف دولتهم . وها هوذا كرّاس جمعت فيه معلومات الجنرال الانكليزي فرنش وفيها البرهان الواضح على صحّة ما قلنا بان بسالة دول الاتفاق ونخوة جنودها من فرنسويين وانكليز واميركان هي التي خيّبت آمالهم وازالت ما عشش في رؤوسهم من الصنجهيّة والثقة العمياء بنفوسهم

ل . ش

نبذة تاريخيّة في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان

للمطران يوسف دريان رئيس اساقفة طرسوس شرفا
والنائب البطريركي في القطر المصري

طبعة ثالثة منقحة في بيروت بالمكتبة العلمية سنة ١٩١٩ (ص ٥٢٦)

كلٌّ يعلم ما في تاريخ لبنان من المشاكل العديدة التي اجتهد في حلها قوم من أدباء بني الوطن العزيز . ولا شكّ انّ سيادة المطران يوسف دريان قد نال في ذلك السهم المعلى فكتب مرّة اولى وثانية وثالثة يدافع عن استقلال لبنان منذ قديم الدهر وعن اصل الطائفة المارونيّة فاستحقّ شكر مواطنيه . وقد ازال كثيرًا من المشاكل المذكورة بحسن نظره وتعمّقه في الابحاث التاريخيّة وردّه على شبهات المرحوم ندره بك مطران في كتابه الفرنسويّ المعنون بسورية الغد . فسُررنا بهذه الايضاحات وتمنّينا لو تبعث همّتهُ غيرَهُ من الباحثين لمواصلة هذه الدروس الشائقة . وقد وجدنا حتى في ايضاحات سيادة الكاتب ما يستدعي زيادةً في التنقير والتنقيب لتتجلّى الحقيقة في كلّ بهائها . فمن ذلك تحديد لبنان وتعريف تخومه في الدهور السالفة وايّام الدول المختلفة فربّ شاهد اتى به سيادتهُ لا يصدق منطوقهُ على لبنان الحالي بل على جبال انطاكية او جبال النصيريّة وغير ذلك ممّا بيّنهُ حضرة الاب ه . لامنس في كتابه تسريح الابصار (٢ : ٣ — ١٠) . ومن ثمّ ما رُوي عن قوّاد لبنان في بركوك (ك ١ : ١٣ و ٢ : ٨) يراد بها جبال انطاكية لا لبناننا الحالي . وكذلك « جندية لبنان » او بالحري « مخافر لبنان » (duces præsidiorum Libani) لا تدلّ على وجود جنود لبنانيين بل تدلّ فقط على ان تلك المناطق كانت محصنة تحفرها جنود الروم دُعوا بذلك لاقامتهم في تلك الانحاء. كما ندعو الآن بعض فرق الفرنسويين باسم الفرق السوريّة لحلولهم في ربوعنا — وممّا يجب تدقيق البحث فيه اسم الكسروانيين المذكور في ابن سباط وفي صالح بن يحيى فانّهُ لا يدلّ على النصارى والموارنة لأنّ الموارنة في ذلك العهد كانوا يسكنون ما وراء نهر ابراهيم فلم يتجاوزوا هذا النهر قبل اواخر القرن الخامس عشر — وممّا نشكّ ايضا في صحّته نسبة الرسالة المسندة

الى القديس لويس ملك فرنسة (ص ٩٣) كما شكّ فيها العلّامة ريستلهوبر والمستشرق السيد دي غوبرناتيس ولا اثر لها في مجموعة رسائل هذا الملك ولا في ترجمة حياته المعاصرين كالسر دي جوانفيل وغيره . ومن المحتمل انّ هذا الملك كاتب الموارنة لكنّ الكتاب المذكور مصنوع بلا ريب يكفي بذلك دليلاً عليه تاريخه الهجري وحداثة ظهوره ولم يشر اليه الدويهي في تاريخه . هذا وآراء اخرى نرجو من سيادته ان يراجع النظر فيها لاثبات حقيقتها وكلّنا يفضل ظهور الحقّ على ايّ اعتبار كان

كنّا دوننا هذه الاسطر اذ بلغنا في آخر دقيقة خبر وفاة صاحب هذا السفر الجليل فكان لهذا النبأ انعكاس صدّى في قلوبنا لعلمنا بعظم هذا المصاب على غبطة السيّد البطريرك وكافّة ارباب الدين وأبناء الطائفة وعلى الآداب الدينيّة والعلميّة التي تفقد به رجلاً ضليعاً في كل فروع المعارف لاسيّما في التاريخ وقد اختبرنا غير مرّة حصافة رأيه ونزاهته في البحث وصواب نقده اجزل الله ثوابه ل . ش

المقالة الوفيّة في العبادة الحقيقيّة لمريم العذراء

للطوباوي لويس ماري غرينيون دي مونفورت

طبعة ثالثة سنة ١٩١٩ في بيروت في المطبعة العلميّة (ص ٢٨٨)

هذا ايضاً ممّا اتحفنا به المثلث الرحمات سيادة المطران يوسف دريان . كان طبعهُ مرتين في مصر فأقبل عليه المؤمنون فجدّد حديثاً طبعهُ . والكتاب من أتقى واجلّ ما كتب في العبادة نحو البتول العذراء مريم بقلم احد كبار المتعبدين لها الطوباوي غرينيون دي مونفورت الذي عطّر فرنسة بعرف قداسته في القرن السابع عشر . فعشق سيادته هذا الكتاب وعرّبهُ وبوّبهُ على عدد ايّام الشهر المريميّ ليتلى في ايّاره واضاف اليه نوافذ تقويّة وصلوات وتراتيل تعميماً للفائدة . ومن توارُد الخواطر انّ احد آباء رسالتنا المرحوم الاب ادوار سلزاني كان يهمّ بتعريب هذا الكتاب عينهِ ومثّلهُ للطبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة (راجع المشرق ١١ : [١٩٠٨] : ٧٩٧) في وقت طبعهِ في مصر تحت عنوان « العبادة الحقيقيّة لمريم البتول الامّ الالهيّة » جازى الله المعرّبين خيراً بشفاعة تلك التي تنيا بنشر اكرامها

شذرات

الفحم المعدني في المانية معلوم ان الفحم في عهدنا اصبح من اعظم اسباب الثروة الدولية . وكان اولا التقدم في ذلك لانكلترة الا ان المانية اخذت تزاحمها في السنين السابقة للحرب حتى كادت تبلغ مبلغها . فان الفحم الحجري على مختلف هيئاته من فحم مستحجر (houille) وفحم خشبي (lignite) بلغت الكميات المستخرجة منه في العام ١٩١٣ نحو ٢٧٨,٩٨٦,٠٠٠ طن بزيادة ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ على السنة السابقة . اما انكلترة فكانت الكميات المستخرجة من منتجها ٢٨٦,٠٠٠,٠٠٠ طن فترى ان الفرق بين الدولتين كان قليلا . وكذلك جنس الفحم المعروف بالكوك (coke) الذي هو حصيلة الفحم المستحجر بالاستقطار فانه بلغ مجمله ٣٢,١٦٨,٠٠٠ طن وكان في العام السابق ٢٩,١٤١,٠٠٠ طن وقد اصدرت المانية من فحمها الحجري الى الخارج لاسيما الى فرنسة ٣٤,٥٧٣,٠٠٠ طن اما الفحم المستقطر فاصدرت منه ٦,٤١١,٤١٧ طنا ووردها من الخارج خاصة من انكلترة ١٠,٥٠٠,٠٠٠ طن من الفحم الحجري يضاف اليها ٥٩٢,٦٦١ طنا من الفحم المستقطر . اما اوفر بلاد المانية بالمناجم الفحمية فبروسية وبالاخص جهات درتمند وبرسلو فان بروسية وحدها كانت قبل الحرب تزن المانية بتسعة اعشار فحمها

حركات الحيوان والنبات والجماد كانت مجلة المقتطف انقطعت عنا في ايام الحرب فلم يمكنا ان نستفيد من مقالاتها الحسنة ولا ان نسير بتيار العقل احكامها المشوهة . ومما وقع عليه نظرنا مقالتها التي اثبتتها في عددها الاخير في شباط ١٩٢٠ (ص١٠٣) تحت عنوان « حركات النبات » حاولت ان تزيف بها مبدأ كل الفلاسفة الأثبات الذين فصلوا بين المواليد الثلاثة فخصوا الحيوان بالحس والحركة مع ميزة النطق والعقل للانسان وخصوا النبات بالحركة والنمو دون الحس وانكروا على الجماد الحس والحركة . اما المقتطف فانها ارتأت خلاف ما قاله كل العلماء وزعمت ان عالما هنديا يدعى جغادس بوز اثبت وحدة الحياة في الجماد والنبات

والحيوان حتى الانسان وانما اختلافها فقط في الدرجة . فذكرت مجلة المقتطف امتحانات الهندي ووافقت على ما دعتهُ « ببراهينهِ السديدة » . وقد اطلعنا على هذه الامتحانات فلم نجد سوى ما كان يعرفهُ العلماء سابقاً بان في الجماد جاذبيةً وقوّاتٍ مختلفة تتأثّر بالعوامل الخارجة من برد وحرّ وضغط وثقل . وشتّان بين هذه الظواهر والحركة التي هي مبدأ باطني في ذات المواليد الحيّة . وكذلك للنبات الاغتذاء والنموّ والتوليد والتمدّد والتقلّص والحركة والانفعال بالنور والظلمة وبالعناصر الكيموية وكل ذلك يمكن قياسهُ بالادوات ولكن اين هذا من الحسّ الباطن الذي في الحيوان . فيا لله كيف لا يغيّر كتبة المقتطف وهم من الدكاترة بالفلسفة ما يقضي بهِ العقل السليم حتى في الاميين فضلاً عن جهابذة العلم

*** المقتطف والارواح الشريرة *** وفي هذا العدد عينهِ من المقتطف (ص ١٤٥—١٥٢) مقالة في ظواهر الاسبرتسم لمحمّد فريد وجدي خاض فيها في موضوع يقتضي علماً واسعاً في الفلسفة واللاهوت وهو كما يظهر قليل البضاعة فيهما . ولا يسعنا انتقاد كلّ مزاعمهِ التي تستدعي ابحاثاً طويلة وقد ردّ على مثلها كتبة جريدتنا البشير غير مرّة . وانما نكرّر عليهِ ما نفاهُ من نسبة بعض خوارق الاسبرتسم الى الارواح الشريرة . قلنا بعضها لانّ كثيراً منها يمكن تعليلها بعلل طبيعية او مكر النصّابين . اما قول الكاتب (ص ١٤٦) انّ ما يرويهِ رجال الدين الكاثوليكي في وجود الارواح الشريرة واعمالها في الاسبرتسم « لا يقوى على النقد حتى النقد المؤسس على تعليمهم » فنكرر قطعياً ودونك صحّتهُ قال : « ان الشياطين في تعريفهم هي ارواح شريرة جُبلت على اغراء الناس على الفساد وترويطهم في الهلكات . والارواح التي تظهر للمجربين على الضد من ذلك تأمر الناس بالمعروف وتنزعهم عن المنكر . . وتعمل جهدها في هدم المذهب المادّي الخ » . فاننا نسلّم بالمقدّمة وتحديدهِ لهوية الشياطين لكن ننكر النتيجة . فانّ هذه الارواح وان ذكرت بعض الحقائق التي يمكن البلوغ اليها بتجرد العقل او امرت في بعض الاحيان بالمعروف الّا ان سعيها بالتضليل اعمّ واثبت فكم انكرت من الحقائق الدينيّة المقرّرة بتعليم الانجيل الطاهر والكتب المنزلة فان صرّحت مثلاً بخلود النفس انكرت الجحيم وخلود عذاب الاشرار فبتقريرها لبعض الحقائق انما تبلغ غايتها

الشريرة على منوال اقرب واصح . ألا يعلم جنابهُ انَّ المخرق والكاذب لا يصدقهما احد ما لم يوهما الكلام بشيء من الحقيقة او شبهها . قال بولس الرسول في احدى رسائله (٢ كور ١١ : ١٤) : « ان الشيطان نفسهُ يغيّر هيئتهُ الى هيئة ملاك نور » . وعلى هذه الصورة اراد ان يغشّ لو امكنهُ ابن الله لمَّا جرَّبهُ بعد صيامه اربعين يوماً . فسقطت اذن حجّة الافندي على تعليم الكاثوليك

* اثر قديم لاندراوس اسكندر الماروني * بين المخطوطات العربيَّة المصونة في المكتبة الواتيكانية نسخة خطية من ميزان الزمان موسومة بالعدد ٤٢٦ تأليف الاب نيقوديموس اليسوعي معرَّبة بقلم احد تلامذة مدرسة الوارنة في رومية القس يوسف بن جرجس الحلبي . والنسخة بخطّ القس اندراوس اسكندر الماروني الشهير المتخرّج ايضاً في مدرسة الوارنة في رومية وتاريخ كتابتها في السنة ١٧١٩ . وفي آخرها بالحرف الكرشوني قطعة تاريخيَّة تفيدنا شيئاً عن كاتبها وعن الطاعون الذي حصل في اواسط تلك السنة في حلب وبقية بلاد الشام . فاستحسن حضرة الاب بولس بيترس من الجمعيَّة البولنديَّة نقل هذه النبذة لننشرها في صفحات المشرق . فلبّى دعوتهُ شاكرين لفضله . وقد سبق المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٥٨٣ — ٥٨٤) فذكر رحلة القس اندراوس اسكندر الى ما بين النهرين ليجمع هناك مخطوطات شرقيَّة للمكتبة الواتيكانيَّة . ورد ذلك في قصة احوال القس خدر الكلداني . وهو يروي مساعدتهُ للقس اندراوس في نوال مطلوبه . وذكر ايضاً خادمهُ الشماس ميخائيل الماروني . ومنهُ يتَّضح ان التاريخ المرويّ هناك وهو كانون الاوَّل ١٧١٩ غلط وصوابهُ كانون الثاني فاقتضى تصحيحهُ . وفي الطاعون الموصوف انفاً توفي مرسلان يسوعيان في خدمة المطعونين الاخ جان مرت (J. Mar-the) الذي كان جوهرياً في باريس ثمَّ ترهَّب في الرهبنة اليسوعيَّة وجاء مرسلاً الى حلب سنة ١٧١١ وكان خيراً بتمريض الاعلاء فمات في خدمة المطعونين في اوائل حزيران ١٧١٩ . وبعدهُ بايَّام قليلة توفي ايضاً شهيد محبَّته المطعونين الاب بطرس ارنودي مؤلف شرح المزامير المطبوع في المطبعة الخلصية في بيروت في ثلثة مجلَّدات سنة ١٨٦٨ . وفي هذا الوباء مات قبلهما الاب عمَّانويل المرسل الكرمليتاني الحافي شهيد المحبَّة مثلهما . ودونك ما سطَّرهُ القس اندراوس اسكندر بحرفه الواحد (p. 209):

كملت سيرة ابينا الجليل القديس مار يوحنا الرحوم القبرسي بطرك اسكندريّة (كذا) على يد احقر عبيد الله القس اندراوس سكندر ابن ابو يوسف سمعان القبرسي الماروني في اليوم العاشر من شهر تمّوز المبارك سنة ١٧١٩ مسيحيّة في مدينة حلب الشهبة. وكان قدومي انا الحقير الى هذه المدينة ونواحي الشرقيّة لاجل قضيان بعض مصالح الكنيسة الرومانيّة المقدّسة امّ جميع الكنائس بامر قدس سيّدنا البابا الحبر الروماني رأس كافّة المؤمنين اقليمنوس الحادي عشر دام الله رياسته. وبعد وصولي من مصر الى حلب توجّهت الى بيت نحرين اي ديار بكر وماردين والموصل اي بتنورا وأرفا اي الرها وعدتُ الى حلب في عيد الثمانين في سنة ١٧١٩ المذكورة وأراني في بيتو العامر (٢١٥) الاخ المكرّم صاحب الفضل المقدسي ابو لياس فرنسيس ابن حوّا حفظ الله اياه واهل بيته واولاده المباركين الشماس لياس وانطانيوس وتوما وسيار (وسائر) اخواتهم وجمعنا معهم في دار النعيم المخلّد بدعاء ستّنا وامّنا الحنونة مريم البتول الكليّة الطهارة وبصلاة جمع القديسين امين

وبسبب الطاعون الشديد الصابر في حلب وفي برّ الشام فخبّاني في بيتو العامر المقدسي فرنسيس المذكور . وفي هذه المدّة نسختُ كتاب ميزان الزمان وسيرة هذا القديس المعظم(١ لمنفعة القارين والسامعين حتّى يذكروني في صلواتهم. وكان المقدسي فرنسيس واولادهُ المذكورين يساعدوني في القراية لتسهيل نسخنا بوجه السرعة جازاهم الله وكتب اسمايهم في سفر الحياة الابديّة امين (٢١٤) . وكان ابتدا الطاعون في اوان الشتي من شهر شباط وما انتهى الى حرة الصيف واشتدّ جدًا المقدار حتّى ان اغلب الناس وتّت هاربة الى غير بلدان. وغيرهم تسكّروا في بيوتهم . ونحن استمرّينا مسكّرين من العيد الكبير الى عيد مار لياس المعظّم الحادث في اليوم العشرين من تمّوز وكنت انا الحقير كليوم اقدم تقدمة القدّاس الطاهر في هذا الدار العامر ونصلّي ونطلب شفاعة امّنا الحنونة مريم سيّدة الورديّة ونستنيث بالقديسين مار روكس ومار فرنسيس الهندي (٢ وبقوّة يسوع ووالدته الطاهرة خرجنا كلّنا سالمين ومات في هذه اثناس شيء سمعتُ انّ من المسلمين هلكوا نحو مائة وخمسين الف نفر ومن النصارى كلهم اي من طائفة المارونية المباركة الارثودوكسية ومن الروم والارمن والسريان ماتوا نحو تسعة آلاف ومن طائفتنا وحدها ماتوا نحو اربعمائة نفر رحمهم الله ورحم جميع الموتى المؤمنين امين . بينهم تنيّح بالرب الشماس مخايل ابن أيّوب ابن حرّا الذي كنت اخذتهُ معي رفيقًا وترجمانًا في نواحي ديار بكر والموصل وبعد رجوعنا بثلثة اشهر انوسم في الثاني عشر من حزيران وفي التاسع عشر منهُ بعد ما تناول جميع اسرار البيعة المقدّسة بعبادة فائقة مات موتة القديسين وكان يومئذٍ في خدمة كنيسة مار لياس العامرة . الرب يبيّح نفسهُ في الراحة الابديّة آمين

---

١) هذه النسخة في مكتبة الواتيكان تحت العدد ٤٣٦

٢) يريد القديس فرنسيس كسفاريوس اليسوعي رسول الهند واليابان الذي نجّى من الطاعون بعض بلاد الهند

أسئلة وأجوبة

س سأل الاستاذ ي م من القاهرة أيجوز في الصوم عند الروم الكاثوليك الاحتفال علناً بالزواج؟ حفلة عقد الزواج في الصيام

ج انَّ عقد الزواج على وجه الاطلاق غير مسموح به في الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة معاً في الازمنة المحرمة التي اخصّها الصوم الكبير . ولا يمتاز الروم الكاثوليك بذلك عن سواهم كما ورد في قوانين مجامعهم والتعليم المسيحيّ الجاري عندهم ومناشير بطاركتهم . وكلها تحظر عن منح الاكاليل علناً بنوع فخيم وابهة في ايام الصوم الكبير التي تُحسب من جمعة البياض الى احد توما ومن بدء صوم الميلاد الى ما بعد عيد الغطاس الّا اذا اقتضت الضرورة فبرخصة الاسقف يجوز عقد الزواج سرّاً لا علناً

ل . ش

س دفع إليَّ بعض الاصحاب ورقةً طويت على السؤال لأحد الأدباء من اخواننا المسلمين في الديار المصرية يطلب فيه من المسيحيّين جواباً عليه شافياً واليك سؤاله بنصّه

أعبّادَ المسيح لنا سؤالٌ نريد جوابَهُ ممَّن وعاهُ
إذا مات الاله بنذل عبدٍ يهوديٍّ فما هذا الإلهُ ؟
وهل بقيَ الوجود بلا إلهٍ سميعٍ يستجيب لمن دعاهُ ؟
ومَن رزق البريّة وهو ميتٌ ؟ ومن حفظ الوجود ومن حواهُ ؟
وهل هوَ عاد لمّا شاء حيّاً إلهاً أم تولّاه سواهُ ؟
وهل رضيَ المسيحُ الصلب عمداً وسكنى القبر أم أرضى أباهُ ؟
وإلّا عنوةً فالعبدُ أقوى من المعبود ويفعل ما يراهُ (كذا بنصّه)
فإن يفهم لنا قلنا جواباً يعاوب أو يثبّتْ ما افتراهُ

ج فحضرة السائل توهّم — كما أظنّ — أنه أتى بمعجزة في سؤاله يقف المسيحيون دون حلّه ويفحمهم به إفحاماً . وهذا جوابي المسوقهُ الى حضرته كاشفاً عن الحقيقة قناعاً صادعاً باليقين لا مهاترةً ولا قذاعاً

ألا قولوا لسائلنا رُويدا اليك جوابنا « ممَّن وعاهُ »
تسائلنا الحقيقةَ عن إلهٍ على عود الصليب لقيَ رداهُ
وتعجب التناقض في اعتقادٍ أنّى فيهِ الحقيقةَ مَن أتاهُ
لأنك قد وهمتَ بهِ غروراً فخلتَ بأنّهُ مات الإلهُ ! !

ألا حاشا النصارى ان يقولوا هذا الكفر أو يشتروا غواه
فما كانوا بجهلهم سكارى ولا عن خطة المعقول تاهوا
فقد رضي المسيح الموت طوعاً وتلك الكأس كانت مشتهاه
ولم يك قط متهوراً ولكن بذلك سرّ واسترضى أباه
وخلّص آل آدم من عقاب جناه آدمٌ فيما جناه
ولم تمت الالوهة فيه قطعاً بل الناسوت لكن عن رضاه
فقام بها الوجود على أساس مكين لا يزعزع جانباه
ولم يزل المسيح حيا إلهاً «سميعاً يستجيب لمن دعاه»
وقد رزق البرية فاستقامت وقد عضدت جوانبها يداه
وبعد ثلاثة قد عاد حياً وداس الموت فانحطمت قواه
وأشرق نوره يحو الدياجي وحاز النصر مرفوعاً لواه
ولم يتوان بعثته نصيراً ففي لاهوته ما قد كفاه

• • •

ألا إنّ المسيح إلهُ حقٍ به صَدَعَ اليقينُ فلا اشتباهُ
نقرّ بحبهِ سرّاً وجهراً وفي سعد الزمان وفي شقاهُ
وليس لنا حياة في صليب تحزّ له المناكبُ والجباهُ
بدوس المجد بالأقدام دوناً ونبذُ كلّ فخرٍ ما عداهُ
وإنّ عبادة المصلوب عنّا فخارٌ نحن لا نرضى سواهُ
أغرّك انه قد مات ظلماً فخلتَ بأن ذلك من عياهُ
أما صمتت عداهُ حين جاءت لتسكتهُ بكلمتهِ: أنا هو؟
ألم يعمل جسم في القدس سوطاً لدن بسطوا التجارة في حماهُ
فما رفعوا عليهِ يد اعتداء كأنهمُ خرافٌ أو شياهُ
فأيّ السرّ في هذا وماذا أخافهمُ ظُباهُ ام قناهُ
وكيف شفى الزريفة من ضناها وأنشر من توسّد في ثراهُ
وقوّم كل أعرجَ قد أتاهُ وخلّص كلّ اعمى من عماهُ
أليس بقوّة منهُ استطارت تلبّي حين دعوتها نداهُ
أما سمّاه روح الله حقاً كتابكم وأكثر من ثناهُ؟
وفي الإنجيل صرّح دون لبس وقال بأنهُ الإبنُ الإلهُ
وجاء ببيّنات ليس تحصى فهل طالعت ما عنهُ رواهُ؟
فإن كذّبتهُ كذّبتَ قولاً كتابكمُ بلا ريب جلاهُ
وإن قلت النصارى حرّفوهُ فشوّه بعد رونقهِ جفاهُ
سألتك ما الدليل؟ فمن نجيّ عليهِ أن يثبّت ما افتراهُ

الخوري نقولا ابو هنا